عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد الثامن - العدد الرابع 1400 - 1979

4

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

بغداديات في الكتب البلدانية العربية

اعداد

عدنان محمد الطعمة

غرناطة ـ اسبانيا

كانت فكرة صائبة وخطوة جليلة والتفاتة جميلة تلك التي دعت لها مجلة المورد باصدار عدد خاص عن (بغداد مدينة السلام) .

في البحث الذي أعددته وهو بغداد في الكتب البلدانية العربية ، توخيت فيه جمع ما كتبه الجغرافيون العرب عن مدينة دار السلام ،وكانت هذه الكتب قد تناولت بغداد طبوغرافيتها، مساحتها وسكانها ، محالّها وبيوتها حالتها العمرانية ، الجداول والسواقي والبساتين والرياض ، الجوامع والاسواق وأبوابها المشهورة،كلاً حسب منهجه في الكتاب ، وارتأيت أن أنقل النصوص كما هي دون تعليق مني على المادة ،واستصواب رأي . بل تركت النصوص كما هي مشيراً الى الطبعة التي أخذت منها النص .فليست وظيفتي في الجمع البلداني أن أدقق في النصوص وأحققها ، بل هي من عمل محققي تلك الكتب ، ولا يجوز لي التجاوز على عملهم ، وان يكن ثمة جهد لي ، فهو نقل النصوص فقط وترتيب المصادر حسب وفيات مؤلفيها كما استثنيت كتاب الهمداني عن بغداد ذلك لأنه كتاب مستقل وقد أخرجته وزارة الثقافة والاعلام من سنتين.كذلك تركت ما يتعلق ببغداد في الكتب التاريخية من مواد جغرافية ، وكذلك كتب الموسوعات الأدبية ، مثل صبح الأعشى .

وأقول بتواضع إن العملَ ليس لي البتة ،إنما لأولئك العظماء من سلفنا الجغرافي ؛ كما اني لا أريد الأشارة الى ميزة كل كتاب عن بغداد فذلك ما يدعو القارىء أن يصرف نظره عن الاستفادة وعدم استمتاعه بقراءة النصوص ،فتركتها لهُ دون ما اشارة كي يلتمس متعتهُ ويجد ضالته ويعفيني من الخطأ ويعذرني من السّهو ،ومن اللّه التوفيق .

WWW.ATTAWEB.COM

ـ ١ ـ

اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب ت/٢٨٤هـ(*)

ـ « بغداد » ـ

وانما ابتدات بالعراق لانها وسط الدنيا وسرة الارض ، وذكرت بغداد لانها وسط العراق والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة وكثرة مياه وصحة وهواء ولانه سكنها من اصناف الناس واهل الامصار والكور ، انتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية وآثرها جميع اهل الآفاق على اوطانهم ، فليس من اهل البلد الا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف ، فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان دجلة والفرات فياتيها التجارات والمير براً وبحراً بأيسر السعي حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من ارض الاسلام وغير ارض الاسلام فإنه يحمل إليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة وسائر البلدان حتى يكون بها من تجارات البلدان اكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها ويكون مع ذلك اوجد وامكن ، حتى كانما سيقت إليها خيرات الارض . وجمعت فيها ذخائر الدنيا ، وتكاملت بها بركات العالم ، وهي مع هذا مدينة بني هاشم ودار ملكهم ومحل سلطانهم ، لم يبتد بها احد قبلهم ولم يسكنها ملوك سواهم ، ولان سلفي كانوا القائمين بها ، واحدهم تولى امرها ، ولها الاسم المشهور والذكر الذائع ، ثم هي وسط الدنيا ، لانها على ما اجمع عليه قول الحساب وتضمنته كتب الاوائل من الحكماء في الاقليم الرابع ، وهو الاقليم الاوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الازمان والفصول ، فيكون الحر بها شديداً في ايام القيظ ، والبرد شديداً في ايام الشتاء ، ويعتدل الفصلان الخريف والربيع في اوقاتهما ، ويكون دخول الخريف الى الشتاء غير متباين الهواء ، ودخول الربيع الى الصيف غير متباين الهواء ، وكذلك كل فصل ينتقل من هواء الى هواء ، ومن زمان الى زمان ، فلذلك اعتدل الهواء ، وطاب الثوى ، وعذب الماء ، وزكت الاشجار ، وطابت الثمار ، واخصبت الزروع ، وكثرت الخيرات ، وقرب مستنبط معينها ، وباعتدال الهواء ، وطيب الثرى ، وعذوبة الماء حسنت اخلاق اهلها ، ونضرت وجوههم ، وانفتقت اذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والادب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظره ، واحكام كل مهنه . واتقان كل صناعة ، فليس عالم اعلم من عالمهم ، ولا اروى من راويتهم ، ولا اجدل من متكلمهم ، ولا اعرب من نحويهم ، ولا اصح من قارئهم ، ولا امهر من متطببهم ، ولا احذق من مغنيهم ، ولا الطف من صانعهم ، ولا اكتب من كاتبهم ، ولا ابين من منطيقهم ، ولا اعبد من عابدهم ، ولا اورع من زاهدهم ، ولا افقه من حاكمهم ، ولا اخطب من خطيبهم ، ولا اشعر من شاعرهم ، ولا افتك من ماجنهم ، ولم تكن بغداد مدينة في الايام المتقدمة ، اعني ايام الاكاسرة والاعاجم ، وانما كانت قرية من قرى طسوج بادوريا ، وذلك ان مدينة الاكاسرة التي خاروها من مدن العراق المدائن وهي من بغداد على سبعة فراسخ وبها ايوان كسرى انو شروان ولم يكن ببغداد الا دير على موضع مصب الصراة الى دجلة الذي يقال له قرن الصراة وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق قائم بحاله الى هذا الوقت ، نزله الجاثليق رئيس النصارى النسطورية . ولم تكن ايضا بغداد في ايام العرب لما جاء الاسلام لان العرب اختطت البصرة والكوفة، فاختط الكوفة سعد بن ابي وقاص الزهري في سنة سبع عشرة وهو عامل عمر بن الخطاب ، واختط البصرة عتبة بن غزوان المازني ـ مازن قيس ـ في سنة سبع عشرة وهو يومئذ عامل عمر ابن الخطاب ، واختطت العرب في هاتين المدينتين خططها الا ان القوم جميعا قد انتقل وجوههم وجلتهم ومياسير تجارهم الى بغداد . ولم ينزل بنو امية العراق لانهم كانوا نزولا بالشام وكان معاوية بن ابي سفيان عامل الشام لعمر بن الخطاب ثم لعثمان بن عفان عشرين سنة ، وكان ينزل مدينة دمشق واهله معه ، فلما غلب على الامر وصار اليه السلطان جعل منزله وداره دمشق التي بها كان سلطانه وانصاره وشيعته ثم نزل بها ملوك بني امية بعد معاوية لانهم بها نشاوا لا يعرفون غيرها ولا يميل اليهم الا اهلها ، فلما افضت الخلافة الى بني عم رسول الله (ص) من ولد العباس ابن عبدالمطلب عرفوا بحسن تمييزهم وصحة عقولهم وكمال آرائهم في فضل العراق وجلالتها وسعتها ووسطها للدنيا ، وانها ليست كالشام الوبيئة الهواء ، الضيقة المنازل ، الحزنة الارض ، المتصلة الطواعين ، الجافية الاهل ولا كمصر المتغيرة

(*) كتاب البلدان ، منشورات المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ، ص ٢ ـ ٢١ .

الهواء ، الكثيرة الوباء ، التي هي بين بحر رطب عفن كثير البخارات الرديئة التي تولد الادواء وتفسد الغذاء ، وبين الجبل اليابس الصلد الذي ليبسه وملوحته وفساده لا ينبت فيه خضر ولا ينفجر منه عين ماء . ولا كافريقية البعيدة عن جزيرة الاسلام وعن بيت الله الحرام ، الجافية الاهل ، الكثيرة العدو ، ولا كارمينية ، الثانية الباردة ، الصردة الحزنة التي يحيط بها الاعداء . ولا مثل كور الجبل ، الحزنة الخشنة المثلجة ، دار الاكراد ولا كارض خراسان ، الطاعنة في مشرق الشمس ، التي يحيط بها من جميع اطرافها عدو كلب ، ومحارب حرب . ولا كالحجاز ، النكدة المعاش ، الضيقة المكسب ، التي قوت اهلها من غيرها . وقد انبانا الله عز وجل في كتابه عن ابراهيم خليله عليه السلام فقال : « رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع » . ولا كالتبت ، التي بفساد هوائها وغذائها تغيرت الوان اهلها ، وصغرت ابدانهم ، وتجعدت شعورهم فلما علموا انها افضل البلدان نزلوا مختارين لها ، فنزل ابو العباس امير المؤمنين وهو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله ابن العباس بن عبدالمطلب الكوفة اول مرة ثم انتقل الى الانبار فبنى مدينة على شاطىء الفرات وسماها الهاشمية ، وتوفي ابو العباس (رض) قبل ان يستتم المدينة فلما وني ابو جعفر المنصور الخلافة وهو ايضا عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بنى مدينة بين الكوفة والحيرة سماها الهاشمية ، واقام بها مدة ، الى ان عزم على توجيه ابنه محمد المهدى لغزو الصقالبة في سنة اربعين ومائة ، فصار الى بغداد ، فوقف بها وقال : ما اسم هذا الموضع ؟ قيل له بغداد . قال : والله المدينة التي اعلمني ابي محمد ابن علي اني ابنيها وانزلها وينزلها ولدي من بعدي، ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والاسلام حتى يتم تدبير الله لي وحكمه في ، وتصح الروايات ، وتبين الدلائل والعلامات ، والا فجزيرة بين دجلة والفرات ، دجلة شرقيها ، والفرات غربيها ، مشرعة للدنيا ، كل ما يأتي في دجلة من واسط والبصرة والابلة والاهواز ، وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك ، فاليها ترقى ، وبها ترمى . وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة واذربيجان وارمينية مما يحمل في السفن في دجلة . وما يأتي من ديار مصر والرقة والشام والثغر ومصر والمغرب مما يحمل في السفن في الفرات ، فيها يحط وينزل ومدرجة اهل الجبل اصبهان وكور خراسان ، فالحمد لله الذي ذخرها لي واغفل عنها كل من تقدمني ، وألهه لابنيها ثم اسكنها ايام حياتي ويسكنها ولدي من بعد ، ثم لتكون اعمر مدينة في الارض ، ثم لابنين بعدها اربع مدن لا تخرب واحدة منهن ابدا فبناها ، وهي الرافقة ولم يسمها ، وبنى ملطية المصيصة ، وبنى المنصورة بالسند ، ثم وجه في احضار المهندسين واهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الارضين حتى اختط مدينته المعروفة بمدينة ابي جعفر واحضر البنائين والفعلة والصناع من النجارين والحدادين والحفارين ، فلما اجتمعوا وتكاملوا اجرى عليهم الارزاق واقام لهم الاجرة وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا من البناء فحضره مائة الف من اصناف المهن والصناعات ، خبر بهذا جماعة من المشايخ ان ابا جعفر المنصور لم يبتد البناء حتى تكامل له من الفعلة واهل المهن مائة الف ، ثم اختطها في شهر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائة ، وجعلها مدورة . ولا تعرف في جميع اقطار الدنيا مدينة مدورة غيرها . ووضع اساس المدينة في وقت اختاره نوبخت المنجم ، وما شاء الله بن سارية ، وقبل وضع الاساس ما ضرب اللبن العظام . وكان في اللبنة التامة المربعة ذراع في ذراع وزنها مائتا رطل واللبنة المنصفة طولها ذراع وعرضها نصف ذراع ووزنها مائة رطل وحفرت الآبار للماء وعملت القناة التي تاخذ من نهر كرخايا ، وهو النهر الآخذ من الفرات فانقنت القناة واجريت الى داخل المدينة للشرب وضرب اللبن وبل الطين وجعل للمدينة اربعة ابواب ، بابا سماه باب الكوفة ، وبابا سماه باب البصرة ، وبابا سماه باب خراسان ، وبابا سماه باب الشام ، وبين كل باب منها الى الآخر خمسة آلاف ذراع بالذراع السوداء من خارج الخندق ، وعلى كل باب منها بابا حديد عظيمان جليلان ، ولا يغلق الباب الواحد منها ولا يفتحه الا جماعة رجال ، يدخل الفارس بالعلم والرامح بالرمح الطويل من غير ان يميل العلم ولا يثني الرمح ، وجعل سورها باللبن العظام التي لم ير مثلها قط على ما وصفنا من مقدارها والطين ، وجعل اساس السور تسعين ذراعا بالسوداء ثم ينحط حتى يصير في اعلاه على خمس وعشرين ذراعا وارتفاعه ستون ذراعا مع الشرفات ، وحول السور فصيل جليل عظيم ، بين حائط السور وحائط الفصيل مائة ذراع بالسوداء ، وللفصيل ابرجة عظام وعليه الشرافات المدورة ، وخارج الفصيل كما يدور مساة بالآجر والصاروج متقنة محكمة عالية والخندق بعد المساة قد اجري فيه

الماء من القناة التي تأخذ من نهر كرخايا وخلف الخندق الشوارع العظماء ، وجعل لابواب المدينة اربعة دهاليز عظاما آزاجا كلها ، حول كل دهليز ثمانون ذراعا كلها معقودا بالآجر والجص فاذا دخل من الدهليز الذي على الفصيل وافى رحبة مفروشة بالصخر ثم دهليزا على السور الاعظم عليه بابا حديد جليلان عظيمان ، لا يغلق كل باب ولا يفتحه الا جماعة رجال ، والابواب الاربعة كلها على ذلك ، فاذا دخل من دهليز السور الاعظم سار في رحبة الى طاقات معقودة بالآجر والجص فيها كواء رومية يدخل منها الشمس والضوء ولا يدخل منها المطر وفيها منازل الغلمان ، ولكل باب من الابواب الاربعة طاقات وعلى كل باب من ابواب المدينة التي على السور الاعظم قبة معقودة عظيمة مذهبة وحولها مجالس ومرتفعات يجلس فيها فيشرف على كل ما يعمل به ، يصعد الى هذه القباب على عقود مبنية بعضها بالجص والآجر وبعضها باللبن العظام قد عملت آزاجا بعضها اعلى من بعض فداخل الآزاج للرابطة والحرس ، وظهورها عليها المصعد الى القباب التي على الابواب على الدواب ، وعلى المصعد ابواب تغلق فاذا خرج الخارج من الطاقات خرج الى رحبة ثم الى دهليز عظيم آزج معقود بالآجر والجص عليه بابا حديد يخرج من الباب الى الرحبة العظمى وكذلك الطاقات الاربعة على مثال واحد ، وفي وسط الرحبة القصر الذي سمي بابه باب الذهب ، والى جنب القصر المسجد الجامع ، وليس حول القصر بناء ولا دار ولا مسكن لاحد إلا دار من ناحية الشام للحرس وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص يجلس في احداهما صاحب الشرطة وفي الاخرى صاحب الحرس ، وهي اليوم يصلي فيها الناس وحول الرحبة كما تدور منازل اولاد المنصور الاصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده وبيت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الخاتم وديوان الجند وديوان الحوائج وديوان الاحشام ومطبخ العامة وديوان النفقات ؛ وبين الطاقات الى الطاقات السكك والدروب تعرف بقواده ومواليه وبسكان كل سكة ، فمن باب البصرة الى باب الكوفة سكة الشرطة وسكة الهيثم وسكة المطبق وفيها الحبس الاعظم الذي يسمى المطبق وثيق البناء محكم السور ، وسكة النساء وسكة سرجس وسكة الحسين وسكة عطية مجاشع وسكة العباس وسكة غزوان وسكة ابن حنفية وسكة الضيقة . ومن باب البصرة الى باب خراسان سكة الحرس وسكة النعيمية وسكة سليمان وسكة الربيع وسكة مهلهل وسكة شبيخ بن عميرة وسكة المرورودية وسكة واضح وسكة السقائين وسكة ابن بريهة بن عيسى بن المنصور وسكة ابي احمد والدرب الضيق . ومن باب الكوفة الى باب الشام سكة المكي وسكة ابي قرة وسكة عبدويه وسكة السميدع وسكة العلاء وسكة نافع وسكة اسلم وسكة منارة . ومن باب الشام الى باب خراسان سكة المؤذنين وسكة دارم وسكة اسرائيل وسكة تعرف في هذا الوقت بالفواريري قد ذهب عني اسم صاحبها وسكة الحكم بن يوسف وسكة سماعة وسكة ساعد مولى ابي جعفر وسكة تعرف اليوم بالزيادي وقد ذهب عني اسم صاحبها وسكة غزوان هذه السكك بين الطاقات ، والطاقات داخل المدينة وداخل السور ، وفي كل سكة من هذه السكك جلة القواد الموثوق بهم في النزول معه وجلة مواليه ومن يحتاج اليه في الأمر المهم وعلى كل سكة من طرفيها الابواب الوثيقة ، ولا تتصل سكة منها بسور الرحبة التي فيها دار الخلافة لان حوالي سور الرحبة كما تدور الطريق وكان الذين هندسوها عبدالله بن محرز والحجاج بن يوسف وعمران بن الوضاح وشهاب بن كثير بحضرة نوبخت وابراهيم بن محمد الفزاري والطبري المنجمين اصحاب الحساب . وقسم الارباض اربعة ارباع وقلد القيام بكل ربع رجلا من المهندسين واعطى اصحاب كل ربع مبلغ ما يصير لصاحب كل قطيعة من الذرع ومبلغ ذرع ما لعمل الاسواق في ربض ربض ؛ فقلد الربع من باب الكوفة الى باب البصرة وباب التحول والكرخ وما اتصل بذلك كله المسيب بن زهير والربيع مولاه وعمران بن الوضاح المهندس . والربع من باب الكوفة الى باب الشام وشارع طريق الانبار الى حد ربض حرب بن عبدالله بن سليمان بن مجالد وواضح مولاه وعبدالله ابن محرز المهندس . والربع من باب الشام الى ربض حرب وما اتصل بربض حرب وشارع باب الشام وما اتصل بذلك الى الجسر على منتهى دجلة حرب بن عبدالله وغزوان مولاه والحجاج ابن يوسف المهندس ، ومن خراسان الى الجسر الذي على دجلة مادا في الشارع على دجلة الى البغيين وباب قطربل هشام بن عمرو التغلبي وعمارة بن حمزة وشهاب بن كثير المهندس . ووقع الى كل اصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الذرع ولمن معه من اصحابه وما قدره للحوانيت والاسواق في كل ربض ، وامرهم ان يوسعوا في الحوانيت ليكون في كل ربض سوق جامعة تجمع التجارات ، وان يجعلوا في كل ربض من السكك والدروب النافذة

وغير النافذة ما يعتدل بها المنازل ، وان يسموا كل درب باسم القائد النازل فيه او الرجل النبيه الذي ينزله او اهل البلد الذين يسكنونه ، وحدهم ان يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعا بالسوداء ، والدروب ستة عشر ذراعا ، وان يبتنوا في جميع الارباض والاسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفي بها من في كل ناحية ومحلة وامرهم جميعا ان يجعلوا من قطائع القواد والجند ذرعا معلوما للتجار يبنونه وينزلونه والسوقة الناس واهل البلدان وكان اول من اقطع خارج المدينة من اهل بيته عبدالوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن العباس بأزاء باب الكوفة على الصراة السفلى التي تاخذ من الفرات ، فربضه يعرف بسويقه عبدالوهاب وقصره هناك قد خرب . وبلغني ان انسويقة ايضا قد خربت . واقطع العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الجزيرة التي بين الصراتين فجعلها العباس بستانا ومزروعا وهي العباسية المذكورة المشهورة التي لا تنقطع غلاتها في صيف ولا شتاء ولا في وقت من الاوقات . واستقطع العباس لنفسه لما جعل الجزيرة بستانا في الجانب الشرقي وفي آخر العباسية تجتمع الصراتان والرحا العظمى التي يقال لها رحا البطريق . وكانت مائة حجر تغل في كل سنة مائة الف الف درهم ؛ هندسها بطريق قدم عليه من ملك الروم فنسبت اليه . واقطع الشروية وهم موالي محمد ابن علي بن عبدالله بن العباس دون سويقة عبدالوهاب مما يلي باب الكوفة وكانوا بوابية رئيسهم حسن الشروي . واقطع المهاجر بن عمرو صاحب ديوان الصدقات في الرحبة التي تجاه باب الكوفة فهناك ديوان الصدقات وبازائه قطيعة ياسين صاحب النجائب وخان النجائب ، ودون خان النجائب اصطبل الموالي ، واقطع المسيب ابن زهير الضبي صاحب الشرطة يمنة باب الكوفة للداخل الى المدينة مما يلي باب البصرة ، فهناك دار المسيب ومسجد المسيب ذو المنارة الطويلة واقطع ازهر بن زهير اخا المسيب في ظهر قطيعة المسيب مما يلي القبلة وهو على الصراة ؛ وهناك دار ازهر وبستان ازهر الى هذه الغاية . ويتصل بقطيعة المسيب واهل بيته قطيعة ابي العنبر مولى المنصور مما يلي القبلة ، وعلى الصراة قطيعة الصحابة وكانوا من سائر قبائل العرب من قريش والانصار وربيعة ويمن ؛ وهناك دار عباش المنتوف وغيره، ثم قطيعة يقطين بن موسى احد رجال الدولة واصحاب الدعوة ثم تعبر الصراة العظمى التي اجتمعت فيها الصراتان الصراة العليا ، والصراة السفلى ، وعليها القنطرة المعقودة بالجص والاجر المحكمة الوثيقة التي يقال لها القنطرة العتيقة ، لانها اول شيء بناه وتقدم في احكامه ، فتخرج من القنطرة ذات اليمين الى القبلة الى قطيعة اسحاق بن عيسى بن علي وقصوره ودوره شارعة على الصراة العظمى من الجانب الشرقي والطريق الاعظم بين الدور والصراة ومن قطيعة عيسى بن علي الى قطيعة ابي السري الشامي مولى المنصور ثم الطاق المعقود عليه الباب المعروف بباب المحول فتصير منه الى ربض حميد بن قحطبة الطائي وربض حميد شارع على الصراة العليا ، وهناك دار حميد واصحابه وجماعة من آل قحطبة بن شبيب ، ثم يتصل ذلك بقطيعة الفراشين ، وتعرف بدار الروميين وتشرع على نهر كرخايا ثم تعود الى الشارع الاعظم وهو شارع باب المحول ، وفيه سوق عظيمة فيها اصناف التجارات ؛ ثم يتصل ذلك بالحوض العتيق ، وهناك منازل الفرس اصحاب الشاه ، ثم يستمر المسير الى الموضع المعروف بالكناسة ، فهناك مرابط دواب العامة ، ومواضع نخاسي الدواب ثم المقبرة القديمة المعروفة بالكناسة مادة الى نهر عيسى بن علي الذي ياخذ من الفرات والدباغين ، وبأزاء قطيعة الروميين على نهر كرخايا الذي عليه القنطرة المعروفة بالروميين دار كعيوبة البستانيان الذي غرس النخل ببغداد، ثم بساتين متصلة غرسها كعيوبة البصري الى الموضع المعروف ببرانا ، ثم رجعنا الى القنطرة العتيقة ، فقبل ان تعبر القنطرة مشرقا الى ربض ابي الورد كوثر بن اليمان خازن بيت المال وسوق فيها سائر البياعات تعرف بسويقة ابي الورد الى باب الكرخ وفي ظهر قطيعة ابي الورد كوثر بن اليمان قطيعة حبيب بن رغبان الحمصي وهناك مسجد ابن رغبان ومسجد الانباريين كتاب ديوان الخراج ، وقبل ان تعبر الى القنطرة العتيقة وانه مقبل من باب الكوفة في الشارع الاعظم قطيعة سليم مولى امير المؤمنين صاحب ديوان الخراج وقطيعة ايوب بن عيسى الشروي ثم قطيعة رباوة الكرماني واصحابه وتنتهي الى باب المدينة المعروف بباب البصرة وهو مشرف على الصراة ودجلة وبازائه القنطرة الجديدة لانها آخر ما بني من القناطر وعليها سوق كبير فيها سائر التجارات مادة متصلة ؛ ثم ربض وضاح مولى امير المؤمنين المعروف بقصر وضاح صاحب خزانة السلاح ؛ واسواق هناك واكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون اصحاب الكتب فان به اكثر من مائة حانوت للوراقين ، ثم الى قطيعة عمرو بن سمعان الحراني وهناك طاق الحراني ثم الشرقية وانما

سميت الشرقية لانها قدرت مدينة للمهدي قبل ان يعزم على ان يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة فسميت الشرقية وبها المسجد الكبير ، وكان يجمع فيه يوم الجمعة وفيه منبر وهو المسجد الذي يجلس فيه قاضي الشرقية ثم اخرج المنبر منه ، وتتعرج من الشرقية مارا الى قطيعة جعفر بن المنصور على شط دجلة ؛ وبها دار عيسى بن جعفر وتقرب منها دار جعفر بن جعفر المنصور ، ثم تخرج من هذه الطرق الاربعة التي ذكرنا الى شارع باب الكرخ فاولها عند باب النخاسين ، ثم الاسواق مادة في جانبي الشارع وتتعرج من باب الكرخ متيامنا الى قطيعة الربيع مولى امير المؤمنين التي فيها تجار خراسان من البزازين واصناف ما يحمل من خراسان من الثياب لا يختلط بها شيء وهناك النهر الذي ياخذ من كرخايا عليه منازل التجار يقال له نهر الدجاج لانه كان يباع عليه الدجاج في ذلك الوقت وفي ظهر قطيعة الربيع منازل التجار واخلاط الناس من كل بلد يعرف كل درب باهله وكل سكة بمن ينزلها . والكرخ السوق العظمى مادة من قصر وضاح الى سوق الثلاثاء طولا بمقدار فرسخين ومن قطيعة الربيع الى دجلة عرضا مقدار فرسخ فلكل تجار وتجارة شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وعراص ، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة ولا يباع صنف مع غير صنفه ؛ ولا يختلط اصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم وكل سوق مفردة وكل اهل منفردون بتجاراتهم ، وكل اهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم وبين هذه الارباض التي ذكرنا والقطائع التي وصفنا منازل الناس من العرب والجند والدهاقين والتجار وغير ذلك من اخلاط الناس ينتسب اليهم الدروب والسكك . فهذا ربع من ارباع بغداد وهو الربع الكبير الذي تولاه المسيب بن زهير ، والربيع مولى امير المؤمنين ، وعمران بن الوضاح المهندس ، وليس ببغداد ربع اكبر ولا اجل منه . ومن باب الكوفة الى باب الشام ربض سليمان بن مجالد لانه كان يتولى هذا الربع فنسب اليه وفيه قطيعة واضح ثم قطيعة عامر بن اسماعيل المسلي ، ثم ربض الحسن بن قحطبة ومنازله ومنازل اهله شارعه في الدرب المعروف بالحسن ثم ربض الخوارزمية اصحاب الحارث بن رقاد الخوارزمي وقطيعه الحارث في الدرب ثم قطيعه ... مولى امير المؤمنين صاحب الركاب وهي الدار التي صارت لاسحاق بن عيسى بن الهاشمي ، ثم اشتراها كاتب لمحمد بن عبدالله بن طاهر ، يقال له طاهر بن الحارث ، ثم ربض الخليل بن هاشم البارودي ثم ربض الخطاب بن نافع الصحاوي ، ثم قطيعة هاشم بن معروف وهي في درب الاقفاص ، ثم قطيعه الحسن بن جعفرات وهي في درب الاقفاص ايضا متصل بدرب القصارين . ومن شارع طريق الانبار القطائع ؛ قطيعه واضح مولى امير المؤمنين وولده . ودرب ايوب بن المغيرة الغزاري بالكوفة ، والدرب يعرف بدرب الكوفيين ، ثم قطيعه سلامة بن سمعان البخاري واصحابه ، ومسجد البخارية والمنارة الخضراء فيه ثم قطيعه الثلاج المنطيب ، ثم قطيعه عوف ابن نزار اليمامي ودرب اليمامية النافذ الى دار سليمان بن مجالد وقطيعه الفضل بن جعونة الرازي ؛ وهي التي صارت لداود بن سليمان الكاتب كاتب ام جعفر المعروف بداود النبطي ، ثم السيب ودار هبيرة بن عمرو ؛ وعلى السيب قطيعة صالح البندي في درب صباح النافذ الى سويقة عبدالوهاب ؛ وقطيعة قابوس بن السميدع ، وبازائه قطيعة خالد بن الوليد التي صارت لابي صالح يحيى بن عبدالرحمن الكاتب صاحب ديوان الخراج في ايام الرشيد ؛ تتعرف بدور ابي صالح ، ثم قطيعة شعبة بن يزيد الكابلي ، ثم ربض القس مولى المنصور ، وبستان القس المعروف به ، ثم ربض الهيثم بن معاوية بشار سوق (شهارسو) الهيثم ، وهناك سوق كبيرة متصلة ومنازل ودروب وسكك كله ينسب الى شار سوق (شهارسو) الهيثم ، ثم قطيعة المورورذية آل ابي خالد الانباري ، ثم ابي يزيد الشووي مولى محمد بن علي واصحابه ، ثم قطيعة موسى بن كعب التميمي وقد ولي شرطة المنصور ، ثم قطيعة بشر بن ميمون ومنازله ، ثم قطيعة سعيد بن دعلج التميمي ، ثم قطيعة الشخير وزكريا بن الشخير ، ثم ربض ابي ايوب سليمان ابن ايوب المعروف بابي ايوب الخوزي الموريائي (وموريان قرية من كورة من كور الاهواز يقال لها مناذر) . ثم قطيعة رداد بن زاذان المعروفة بالردادية ؛ ثم الممدار ، ثم حد ربض حرب . ودونه الرملية : وهذا الربع الذي تولاه سليمان ابن مجالد وواضح مولى امير المؤمنين والمهندس عمران بن الوضاح . والربع من باب الشام فاول ذلك قطيعة الفضل بن سليمان الطوسي ، والى جنبه السجن المعروف بسجن باب الشام والاسواق المعروفة بسوق الشام وهي سوق عظيمة فيها جميع التجارات والبياعات ممتدة ذات اليمين وذات الشمال آهلة عامرة الشوارع

والدروب والعراص ، وتمتد في شارع عظيم فيه الدروب الطوال ، كل درب ينسب الى اهل بلد من البلدان ينزلونه في جنبتيه جميعا الى ربض حرب بن عبدالله البلخي ؛ وليس ببغداد ربض اوسع ولا اكبر ولا اكثر دروبا واسواقا في الحال منه . واهله اهل بلخ واهل مرو واهل الختل واهل بخارى واهل اسبيشاب واهل اشتاخنج واهل كابل شاه واهل خوارزم ولكل اهل بلد قائد ورئيس . وقطيعة الحكم بن يوسف البلخي صاحب الخراب وقد كان ولي الشرطة . ومن باب الشام في الشارع الاعظم المار الى الجسر الذي على دجلة سوق ذات اليمين وذات الشمال . ثم ربض يعرف بدار الرقيق كان فيه رقيق ابي جعفر الذين يباعون من الآفاق وكانوا مضمومين الى الربيع مولاه ؛ ثم ربض الكرمانية والقائد بوزان ابن خالد الكرماني ، ثم قطيعة الصغد ودار خرقاش الصغدي ، ثم قطيعة ماهان الصامغاني واصحابه؛ ثم قطيعة مرزبان ابي اسد بن مرزبان الفاريابي واصحابه واصحاب العمد ثم تنتهي الى الجسر . فهذا الربع الذي تولاه حرب بن عبدالله مولى امير المؤمنين والمهندس الحجاج بن يوسف . والربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة وما بعد ذلك بازائها الخلد وكان فيه الاصطبلات وموضع العرض وقصر يشرع على دجلة لم يزل ابو جعفر ينزله وكان فيه المهدي قبل ان ينتقل الى قصره بالرصافة الذي بالجانب الشرقي من دجلة . فاذا جاوز موضع الجسر فالجسر ومجلس الشرطة ودار صناعة للجسر ، فاذا جاوزت ذلك فاول القطائع قطيعة سليمان بن ابي جعفر في الشارع الاعظم على دجلة وفي درب يعرف بدرب سليمان. والى جنب قطيعة سليمان في الشارع الاعظم قطيعة صالح بن امير المؤمنين المنصور وهو صالح المسكين مادة الى دار نجيح مولى المنصور التي صارت لعبدالله بن طاهر . وآخر قطيعة صالح قطيعة عبدالملك بن يزيد الجرجاني المعروف بابي عون واصحابه الجرجانية ؛ ثم قطيعة تميم الباذغيسي متصلة بقطيعة ابي عون ؛ ثم قطيعة عباد الفرغاني واصحابه الفراغنة ؛ ثم قطيعة عيسى ابن نجيح المعروف بابن روضة وغلمان الحجابة ، ثم قطيعة الافارقة ؛ ثم قطيعة تمام الديلمي مما يلي قنطرة التبانين ، وقطيعة حنبل ابن مالك ، ثم قطيعة البغيين اصحاب حفص بن عثمان ودار حفص هي التي صارت لاسحاق بن ابراهيم ، ثم السوق على دجلة في الفرضة ، ثم قطيعة لجعفر ابن امير المؤمنين المنصور صارت لام جعفر ناحية باب قطربل تعرف بقطيعة ام جعفر ، ومما على القبلة قطيعة مرار العجلي وقطيعة عبدالجبار بن عبدالرحمن الازدي وقد كان يلي الشرطة ثم عزله وولاه خراسان فعصى هناك فوجه اليه المهدي في الجيوش فحاربه حتى ظفر به فحمله الى ابي جعفر فضرب عنقه وصلبه . وفي هذه الارباض والقطائع ما لم نذكره لان كافة الناس بنوا القطائع وغير القطائع وتوارثوا . واحصيت الدروب والسكك فكانت ستة الاف درب وسكة . واحصيت المساجد فكانت ثلاثين الف مسجد سوى ما زاد بعد ذلك . واحصيت الحمامات فكانت عشرة الاف حمام سوى ما زاد بعد ذلك . وجر القناة التي تأخذ من نهر كرخايا الآخذ من الفرات في عقود وثيقة من اسفلها محكمة بالصاروج والآجر من اعلاها معقودة عقدا وثيقا فتدخل المدينة وتنفذ في اكثر شوارع الارباض تجري صيفا وشتاءا قد هندست هندسة لا ينقطع نها ماء في وقت ؛ وقناة اخرى من دجلة على هذا المثال وسماها دجيل . وجر لاهل الكرخ وما اتصل به نهرا يقال له نهر الدجاج ، وانما سمي نهر الدجاج لان اصحاب الدجاج كانوا يقفون عنده ؛ ونهرا يسمى نهر طابق بن الصمية ولهم نهر عيسى الاعظم الذي يأخذ من معظم الفرات تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقة ويحمل فيها الدقيق والتجارات من الشام ومصر تصير الى فرضة عليها الاسواق وحوانيت التجار لا تنقطع في وقت من الاوقات فالماء لا ينقطع ، ولهم الآبار التي يدخلها الماء من هذه القنوات فهي عذبة شرب القوم جميعا منها ، وانما احتيج الى هذه القنوات لكبر البلد وسعته والا فهم بين دجلة والفرات من جميع النواحي تدفق عليهم المياه حتى غرسوا النخل الذي حمل من البصرة فصار ببغداد اكثر منه بالبصرة والكوفة والسواد وغرسوا الاشجار واثمرت الثمر العجيب وكثرت البساتين والاجنة في ارباض بغداد من كل ناحية لكثرة المياه وطيبها ، وعمل فيها كل ما يعمل في بلد من البلدان لان حذاق اهل الصناعات انتقلوا اليها من كل بلد واتوها من كل افق ونزعوا اليها من الاداني والاقاصي ؛ فهذا الجانب الغربي من بغداد وهو جانب المدينة وجانب الكرخ وجانب الارباض ؛ وفي كل طرف منه مقبرة وقرى متصلة وعمارات مادة . والجانب الشرقي من بغداد نزله المهدي بن المنصور وهو ولي عهد ابيه وابتدا بناءه في سنة ثلاث واربعين ومائة فاختط المهدي قصره بالرصافة الى جانب المسجد الجامع الذي في

الرصافة وحفر نهرا ياخذ من النهروان سماه نهر المهدي يجري في الجانب الشرقي . واقطع المنصور اخوته وقواده بعدما اقطع من الجانب الغربي وهو جانب مدينته وقسمت القطائع في هـذا الجانب وهو يعرف بعسكر المهدي كما قسمت في جانب المدينة ، وتنافس الناس في النزول على المهدي لمحبتهم له ولاتساعه عليهم بالاموال والعطايا ولانه كان اوسع الجانبين ارضا لان الناس سبقوا الى الجانب الغربي وهو جزيرة بين دجلة والفرات فبنوا فيه وصار فيه الاسواق والتجارات ، فلما ابتديء البناء في الجانب الشرقي امتنع من اراد سعة البناء فاول القطائع على راس الجسر لخزيمة ابن خازم التميمي وكان على شرطة المهدي ، ثم قطيعة اسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، ثم قطيعة العباس بن محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب لانه جعل قطيعته في الجانب الغربي بستانا ، ثم قطيعة السري بن عبدالله بن الحارث بن العباس بن عبدالمطلب ، ثم قطيعة قثم بن العباس بن عبيدالله ابن العباس بن عبدالمطلب عامل ابي جعفر على اليمامة ، ثم قطيعة الربيع مولى امير المؤمنين لانه جعل قطيعته بناحية الكرخ اسواقا ومستغلات فاقطع مع المهدي وهو قصر الفضل بن الربيع والميدان ، ثم قطيعة جبريل بن يحيى البجلي ، ثم قطيعة اسد بن عبدالله الخزاعي ، ثم قطيعة مالك بن الهيثم الخزاعي ، ثم قطيعة سلم بن قتيبة الباهلي ، ثم قطيعة سفيان بن معاوية المهلبي ، ثم قطيعة روح بن حاتم ، ثم قطيعة ابان بن صدقة الكاتب ، ثم قطيعة حمويه الخادم مولى المهدي ، ثم قطيعة سلمة الوصيف صاحب خزانة سلاح المهدي ، ثم قطيعة بدر الوصيف مع سوق العطش وهي السوق العظمى الواسعة ، ثم قطيعة العلاء الخادم مولى المهدي ، ثم قطيعة يزيد بن منصور الحميري ، ثم قطيعة زياد بن منصور الحارثي ، ثم قطيعة ابي عبيد معاوية بن برمك البلخي على قنطرة بردان ، ثم قطيعة عمارة بن حمزة بن ميمون ، ثم قطيعة ثابت بن موسى الكاتب على خراج الكوفة وما سقي الفرات ، ثم قطيعة عبدالله ابن زياد بن ابي ليلى الخثعمي الكاتب على ديوان الحجاز والموصل والجزيرة وارمينية واذربيجان ، ثم قطيعة عبيدالله بن محمد بن صفوان القاضي ، ثم قطيعة يعقوب بن داود السلمي الكاتب الذي كتب للمهدي في خلافته ثم قطيعة منصور مولى المهدي وهو الموضع الذي يعرف بباب المقير ، ثم قطيعة ابي هريرة محمد بن فروخ القائد بالموضع المعروف بالمخرم ، ثم قطيعة معاذ بن مسلم الرازي جد اسحاق بن يحيى بن معاذ ، ثم قطيعة الغمر بن العباس الخثعمي صاحب الجر ، ثم قطيعة سلام مولى المهدي بالمخرم وكان يلي المظالم ، ثم قطيعة عقبة بن سلم الهنائي ، ثم قطيعة سعيد الحرشي في مربعة الحرشي ، ثم قطيعة مبارك التركي ، ثم قطيعة سوار مولى امير المؤمنين ورحبة سوار ، ثم قطيعة نازي مولى امير المؤمنين صاحب الدواب واصطبل نازي ، ثم قطيعة محمد بن الاشعث الخزاعي ، ثم قطيعة عبدالكبير بن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب اخي عمر بن الخطاب ، ثم قطيعة ابي غسان مولى امير المؤمنين المهدي وبين القطائع منازل الجند وسائر الناس من التناء ومن التجار ومن سائر الناس في كل محلة وعند كل ربض . وسوق هذا الجانب العظمى التي تجتمع فيها اصناف التجارات والبياعات والصناعات على راس الجسر مارا من راس الجسر مشرقا ذات اليمين وذات الشمال من اصناف التجارات والصناعات . وينقسم طرق الجانب الشرقي وهو عسكر المهدي خمسة اقسام ، فطريق مستقيم الى الرصافة الذي فيه قصر المهدي والمسجد الجامع ، وطريق في السوق التي يقال لها سوق خضير وهي معدن طرائف الصين وتخرج منها الى الميدان ودار الفضل بن الربيع ، وطريق ذات اليسار الى باب البردان ، وهناك منازل خالد بن برمك وولده ، وطريق الجسر من دار خزيمة الى السوق المعروفة بسوق يحيى بن الوليد ، والى الموضع المعروف بالدور الى باب بغداد المعروف بالشماسية ، ومنه يخرج من اراد الى سر من راى ، وطريق عند الجسر الاول الذي يعبر عليه من اتى من الجانب الغربي ياخذ على دجلة الى باب المقير والمخرم وما اتصل بذلك ، وكان هذا اوسع الجانبين لكثرة الاسواق والتجارات في الجانب الغربي كما وصفنا فنزله المهدي وهو ولي عهد وفي خلافته ، ونزله موسى الهادي ، ونزله هارون الرشيد ، ونزله المامون ، ونزله المعتصم ، وفيه اربعة آلاف درب وسكة وخمسة عشر الف مسجد سوى ما زاده الناس ، وخمسة آلاف حمام سوى ما زاده الناس بعد ذلك ، وبلغ اجرة الاسواق ببغداد في الجانبين جميعا مع رحا البطريق وما اتصل بها في كل سنة اثني عشر الف الف درهم ونزل ببغداد سبعة خلفاء : المنصور ، والمهدي ، وموسى الهادي ، وهارون الرشيد ، ومحمد الامين وعبدالله المامون ، والمعتصم . فلم يمت بها منهم واحد

الا محمد الأمين بن هارون الرشيد فانه قتل خارج باب الانبار عند بستان طاهر . وهذه القطائع والشوارع والدروب والسكك التي ذكرتها على ما رسمت في ايام المنصور ووقت ابتدائها وقد تغيرت ومات المتقدمون من اصحابها وملكها قوم بعد قوم وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع ، وملك قوم ديار قوم ، وانتقل الوجوه والقواد واهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ثم اتصل بهم المقام في ايام الواثق والمتوكل ، ولم تخرب بغداد ولا نقصت اسواقها ، لانهم لم يجدوا منها عوضا ولانه اتصلت العمارة والمنازل بين بغداد وسر من رأى في البر والبحر اعني في دجلة وفي جانبي دجلة .

- ٢ -

عجائب الاقاليم السبعة الى نهاية العمارة[1]

معرفة انهار مدينة السلام ـ في الجانب الشرقي

فامّا انهار مدينة السلام الجارية فيها ومنها شرب من يقرب اليها فاول ما نبدأ به من ذلك الانهار التي في الجانب الشرقي وهو عسكر امير المؤمنين المهدي من ذلك نهر يقال له نهر موسى اوله من النهربين في ظهر قصر المعتضد المعروف بالثريا ، واول النهربين مين النهروان فوق الجسر بشيء يسير يمرّ جاريا ويتفرع منه انهار كثيرة تسقي سواد بغداد ويمرّ في شرقي الثريا وعليه قرى وضياع ويسقي بعض طسّوج كلواذي ويصبّ في دجلة اسفل من مدينة السلام باقلّ من فرسخين . ويحمل منه ايضا النهر المعروف بنهر موسى واوله في الموضع الذي تقدّم ذكره يمرّ فيدخل قصر الثريّا ويدور فيه ويخرج منه ثم يصير الى موضع يقال له مقسم الماء ، فينقسم هناك ثلاثة اقسام فيمرّ الاول منها الى باب سوق الدوّاب ويجتاز بباب عمّار ويحمل منه هناك نهر يمرّ الى دار البانوجة ويفنى هناك ويمرّ نهر موسى فيدخل من باب سوق الدوّاب ويمرّ الى باب مقيّر الكبير فيحمل منه هناك نهر يمرّ الى دار ابن الخصيب في الشارع المعروف بسمد الوصيف ويخرج الى العلّافين فيصبّ في النهر الذي حفره المعتضد للبحيرة ويمرّ في الشارع المعروف خلف الحوانيت الى العلافين بباب المخرّم ويمرّ في فنطرة العباس التي في باب المخرّم ويمر في الشارع الى المخرّم ويفنى هناك . ويمر نهر موسى الى قنطرة الانصار فتحمل منه هناك ثلاثة انهار يصبّ احدها في حوض الانصار والثاني في حوض هيلانة والثالث في حوض داود ، ويمرّ نهر موسى الى شارع درب الطويل وقصر المعتصم بالله فيحمل منه هناك نهر يمرّ الى سوق العطش مادّاً في وسط شارع كرم العرش ويصبّ في دار الوزير علي بن محمد بن الفرات ويفني هناك ويمرّ نهر موسى ملاصقا لقصر المعتصم الى ان يخرج الى الشارع الاعظم ثم يخرج الى شارع عمرو الرومي ثم يدخل الى بستان الزاهر فيسقيه ثم يصب في الدجلة اسفل البستان بشيء يسير ، ثم يمرّ النهر الثاني من المقسم الى باب ابرز فيدخل الى بغداد من هناك ويسمى نهر المعلّى ويمرّ بين الدور الى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر المعتضد المعروف بالفردوس ويدور فيه ويصب الى دجلة مع القصر ، ويمر النهر الثالث من المقسم الى باب قطيعة موشجير ثم يمرّ الى باب العامّة ثم يدخل الى القصر المعروف بالحسني فيدور فيه ويصب في دجلة مع قصر المكتفي بالله المعروف بالتاج ويحمل من النهربين نهر يقال له نهر عليّ اوله فوق نهر موسى بشيء يسير يمرّ معترضا لطريق خراسان الى قرية الاثلة ويمرّ فيسقي طسّوج نهر بوق ورستاق الافروطر ويصبّ في نهر من الخالص ويحمل من نهر الفضل نهر يقال له نهر الجعفرية يمرّ بقرى وضياع ويصبّ في سواد بغداد الذي في شمالها ويحمل من نهر الجعفرية نهر يقال له نهر السّور يمرّ مع سور بغداد اوله من نهر الجعفرية يمرّ بباب خراسان وباب البردان ويصبّ في نهر الفضل الذي يصب بباب الشماسية ، ويحمل من نهر الخالص الذي قلنا إنه يصبّ اسفل الراشدية نهر يقال له نهر الفضل يجيء الى باب الشماسية يمرّ فيسقي ضياعا عليه وقرى ويصبّ في دجلة مع باب الشماسية ويحمل من نهر الشماسية وهو نهر الفضل نهر يقال له نهر المهدي اوله فوق الباب بشيء يسير يمرّ فيدخل الى مدينة السلام من باب الشماسية ويجيء الى سويقة جعفر ويمرّ في الشارع المعروف بشارع نهر المهدي ثم يجيء الى قنطرة البردان ويدخل في دار الرومين ثم يخرج الى سويقة نصر بن مالك ثم يدخل الرصافة في مسجد الجامع الى بستان حفص ويصبّ في جوف قصر الرّصافة في بركة فيه ، ويحمل من هذا النّهر نهر اوله في سويقة نصر مع

(١) تصنيف سهراب . اعتنى بنسخه وتصحيحه هانس فون مزيك ص ١٢٩ ـ ١٢٤ ط فينا ١٣٤٧ ـ ١٩٢٩ .

الابواب الحديد يمرّ في وسط شارع باب خراسان مادا الى ان يصبّ في نهر السور بباب خراسان ، فهذه انهار الجانب الشرقي ، وبقي انهار الجانب الغربي وانا ابيّنها ان شاء الله .

« معرفة انهار مدينة السلام في الجانب الغربي »

من ذلك نهر يقال له الصراة اوّله من نهر عيسى فوق قرية المحوّل الكبير بشيء يسير يمرّ هذا النهر فيسقى ضياع وبساتين بادوريا ويتفرع منه انهار كثيرة ويدخل بغداد فيمر بقنطرة العباس ثمّ يمرّ الى قنطرة العتيقات ثمّ يمرّ الى قنطرة رحا البطريق وهي قنطرة الزيد ثم يمرّ الى قنطرة العتيقة ثم يمرّ الى قنطرة الجديدة ثم يصب في دجلة اسفل الخلد بشيء يسير ويحمل من الصراة نهر يقال له خندق طاهر اوّله من نهر الصراة اسفل من فوهته بفرسخ يمرّ فيسقي الضياع ويدور حول مدينة السلام ممّا يلي الحربية فيمر الى باب الانبار وعليه هناك قنطرة ثم يمرّ الى باب الحديد وعليه هناك قنطرة ويمرّ الى باب حرب وعليه هناك قنطرة ويمرّ الى باب قطربل وعليه هناك قنطرة رحا ام جعفر ويمرّ في وسط قطيعة ام جعفر ويصبّ في دجلة فوق دار اسحاق بن ابراهيم الطاهري بشيء يسير ، ويحمل من الخندق نهر يقال له الصراة الصغيرة بجيء قاطعا للبساتين يمرّ ببعض بادوريا ويصبّ في الصراة الكبيرة اسفل من رحا البطريق بشيء يسير ، ويحمل من نهر عيسى نهر يقال له كرخايا اوله اسفل المحوّل الكبير بشيء يسير يمرّ في وسط طسوج بادوريا ويتفرع منه انهار تنبث في بادوريا تسمى وتعرف وعلى جانبيه قرى وضياع وبساتين مادا الى ان يدخل بغداد من باب ابي قبيصة ويمرّ الى قنطرة اليهود ويمرّ الى قنطرة درب الحجارة ويمرّ الى قنطرة البيمارستان وباب محوّل فيتفرع منه هناك انهار الكرخ كلّها ، فمن ذلك إذا جاوز كرخايا قنطرة البيمارستان فاول الانهار نهر يقال له نهر رزين يمرّ فياخذ في ربض حميد فيدور فيه ثم يمرّ الى سويقة ابي الورد ثم يمرّ الى بركة زلزل فيدور فيها ثم يمر الى باب طاق الحرّاني ثم يصب في الصراة الكبيرة اسفل من القنطرة الجديدة مع القنطرة ويعرف بنهر ابي عتّاب ، واذا صار نهر رزين الى باب سويقة ابي الورد يحمل منه نهر يمر في قورج على قنطرة العتيقة فيمرّ مادا الى شارع باب الكوفة فيدخل من هناك الى بعض آثار مدينة ابي جعفر المنصور ويتقطع فيها ويمرّ النهر من باب الكوفة مادا الى شارع القحاطبة يمرّ الى باب الشام ويمر في شارع الجسر الى طرف الزبيدية ويفنى هناك ، ثم يمرّ نهر كرخايا من البيمارستان فاذا صار الى الدرّابات يسمى هناك العمود وهو النهر الذي تتفرع منه انهار الكرخ الداخلة فيمر النهر من هناك الى موضع قريب منه فيسمى هناك رحا ابي القاسم ثم الى موضع يعرف بالواسطيين ثم يمرّ الى موضع يعرف بالخفقة فيحمل منه هناك نهر يقال له نهر البزازين يعطف فيخرج في شارع المصوّر ثم يمرّ الى دار كعب ثم يخرج الى باب الكرخ ثم يدخل البزازين ثم يمرّ الى الجزارين ثم يدخل في اصحاب الصابون ثم يصبّ في دجلة تحت دار الجوز ثم يمر النهر الكبير من الخفقة الى طرف مربعة الزيات فيعطف منه هناك نهر يقال له نهر الدجاج يمرّ فياخذ مادا الى اصحاب القنى ثم يمرّ الى اصحاب القصب وشارع القيارين ويصبّ في دجلة في اصحاب الطعام ثم يمرّ النهر الكبير من مربعة الزيات الى دوّارة الحمار فيعطف منه هناك نهر يقال له نهر الكلاب ياخذ في شارع قطيعة الكلاب مادّا حتى يصب تحت قنطرة الشوك في نهر عيسى بن موسى ثم يمرّ هذا النهر الكبير من دوارة الحمار الى موضع يقال له مربعة صالح فيعطف منه هناك نهر يقال له نهر القلائين يمر مادا الى السواقين ثم الى اصحاب القصب ويصبّ هناك في نهر الدجاج ويصيران نهرا واحدا ثم يمرّ النهر الكبير من مربعة صالح الى موضع يعرف بنهر طابق ثم يصبّ في نهر عيسى في موضع يعرف بمشرعة الآس بحضرة دار البطيخ ، فهذه انهار الكرخ وبقي انهار الحربية وانا ابيّنها ان شاء الله تعالى .

من ذلك نهر يحمل من دجيل يقال له نهر بطاطيا اوّله من اسفل فوهة دجيل بستة فراسخ يمرّ فيسقي ضياعا وقرى ويمرّ في وسط مسكن ويصب في الضياع ويفنى فيها ويحمل منه نهر اسفل جسر بطاطيا بشيء يسير يجيء نحو مدينة السلام فيمر على عبارة قورج قنطرة باب الانبار ثم يدخل بغداد من هناك فيمر في شارع باب الانبار ويمرّ في شارع الكبش ويفنى هناك ، ويحمل من نهر بطاطيا نهر اسفل من النهر الاول يجيء نحو بغداد فيمر على عبّارة يقال لها عبّارة الكرخ بين باب حرب وباب الحديد ، ويمر فيدخل بغداد من هناك ويمرّ في شارع دجيل الى مربّعة الفرس فيحمل منه هناك نهر يقال له نهر دكان الابناء ويفنى هناك ويمرّ النهر الكبير من مربعة

الفرس الى قنطرة ابي الجون فيحمل هناك منه نهر الى كتاب اليتامى الى مربعة شبيب ويصب هناك في نهر الشارع سنذكره ، ثم يمرّ النهر الكبير من قنطرة ابي الجون الى شارع قصر هاني، ثم يمرّ الى بستان القس ويصب في النهر الذي يمرّ بشارع القحاطبة ، ويحمل من نهر بطاطيا نهر أوّله من قناة الكوخ يجيء الى بغداد ويمرّ على عبّارة قورج على قنطرة باب حرب ويدخل بغداد من هناك ويمرّ في وسط شارع باب حرب الى شارع دار ابن ابي عون ، ويجيء الى مربّعة ابي العباس ثم يجيء الى مربعة شبيب فيصب فيه النهر الذي ذكرناه ثم يمرّ الى باب الشام ، فهذه انهار مدينة السلام قد بيّناها ، وهذه الانهار التي في الحربية من قنى تحت الارض واوائلها مكشوفة فافهم ذلك ان شاء الله .

- ٣ -

الاصطخري : ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ـ المتوفى في حدود النصف الاول من القرن الرابع .

المسالك والممالك[1]

وامّا بغداد فإنها مدينة محدثة في الاسلام . لم تكن بها عمارة فابتنى المنصور المدينة في الجانب الغربي ، وجعل حواليها قطائع لحاشيته ومواليه واتباعه ؛ مثل قطيعة الربيع ، والحربية وغيرهما ، ثم عمرت ، فلما كان في ايام « المهدى » جعل معسكره في الجانب الشرقي ، فسمي عسكر المهدي ثم عمرت بالناس والبنيان ، وانتقلت الخلافة الى الجانب الشرقي ، وهي اليوم أسفل هذا الجانب بالحريم ، ليس وراءها بنيان للعامة متصل ، وتفترش قصور الخلافة وبساتينها من بغداد الى نهر بين فرسخين على جدار واحد حتى تتصل من نهربين الى شط دجلة ، ثم يتصل البناء بدار الخلافة مرتفعاً على دجلة الى الشماسية نحو خمسة اميال . ولحاذي الشماسية في الجانب الغربي الحربيّة ؛ فيمتد نازلاً على دجلة الى آخر الكرخ ويسمى الشرقي جانب الطاق (باب الطاق) وجانب الرصافة وعسكر المهدي ، فمن نسبه الى الطاق يعني ان أوّله باب الطاق ، وهو موضع السوق الاعظم ومن نسبه الى الرصافة نسبه الى قصر كان الرشيد بناه بقرب المسجد الجامع بها ومن نسبه الى عسكر المهدي فإنّ المهدي كان عسكر من هذا الجانب بحذاء مدينة ابي جعفر ؛ ويسمى الجانب الغربي جانب الكرخ وببغداد مساجد جوامع في ثلاثة مواضع ، في مدينة المنصور ، وفي الرصافة وفي دار الخلافة وتتصل العمارة والبنيان بكلواذى وبها مسجد جامع فلو عدّ في جملة بغداد لجاز . وقد عقد بين الجانبين على دجلة جسران من سفن ويكون من باب خراسان الى ان يبلغ باب الياسريّة ؛ وذلك عرض الجانبين جميعا نحو خمسة اميال . واعمر بقعة منها الكرخ وبها اليسار ومساكن معظم التجار . وامّا الاشجار والانهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة . فإنّها من ماء النهروان وتامرّا ؛ وليس يرتفع إليها من ماء دجلة الا شيء يسير يقصر عن العمارة ويضبح بالدواليب ، وامّا الجانب الغربي فإنّه قد شقّ إليه من الفرات نهر عيسى من قرب الانبار تحت قنطرة دمّيمّا ، وتتحلب من هذا النهر مسنيات تجتمع فتصير نهراً يسمى الصّراة وينفجر منها انهار ، وبها عمارات الجانب الغربي وتتبع ما بقي من ماء الصراة الصغيرة والكبيرة في دجلة . وينتهي آخر نهر عيسى الى دجلة في جوف مدينة بغداد ، وامّا نهر عيسى فإنّ السفن تجري فيه من الفرات الى ان يقع في دجلة ، وامّا الصّراة فإنّ فيها حواجز تمنع من جري السّفن ؛ فتنتهي السّفن منها الى قنطرة الصراة ، ثم يحول ما فيها ويجاوز به ذلك الحاجز الى سفن غيرها[1] .

(١) المسالك والممالك ، ٥٨ ـ ٥٩ ، تحقيق الدكتور محمد جابر عبدالعال ـ ط. وزارة الثقافة والارشاد القومي دار القلم ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م القاهرة .

- ٤ -

ابن حوقل : ابو القاسم المتوفى بعد عام ٣٧٠ هـ .

صورة الارض[1]

ومدينة السّلام محدثة في الاسلام ابتناها ابو جعفر المنصور في الجانب الغربي من دجلة وجعل حواليها قطائع لحاشيته ومواليه واتباعه ؛

(١) صورة الارض ، ٢١٥ ـ ٢١٧ ، ط بيروت د. ت .
ويشير الناشر الى ان ابن حوقل هو من القرن العاشر الميلادي اي القرن الرابع الهجري وفي نصوص الكتاب اشارات صريحة في مواضع ذكرت في بغداد سنة ستين وخمسمائة اي ان تغييرات اساسية واضافات زيدت على الكتاب . يراجع بشان ابن حوقل كراتشكوفسكي (تاريخ الادب الجغرافي العربي) ١/٢٠٠ ـ ٢٠٥ .

كقطيعة الربيع والحربية وغيرهما ثم عمرت وتزايدت . فلمّا ملكها المهدي جعل معسكره في الجانب الشرقي فسمّي عسكر المهدي وتزايد بالناس والبنيان وكثرت عمارتهم ، وانتقل اسم الخلافة الى الجانب الشرقي ، ودارٌ من بيده حال من اسم المملكة وعمل الى اسفل هذا الجانب بالمخرّم واستحدث الدار التي في اسفلها للسلطان وليس بها وراءها بنيان للعامة متصل . ويتصل قصور السلطان وبساتينها من بغداد الى نهر بين فرسخين على جدار واحد ، ثم يتصل من نهربين الى شط دجلة . ويتصل البنيان بدار خلافتهم مرتفعا على دجلة الى الشماسية نحو خمسة اميال وتحاذي من الجانب الغربي الحربية فيمتد نازلاً على دجلة البنيان الى آخر الكرخ . ويسمى الجانب الشرقي منها جانب باب الطاق وجانب الرصافة . ويسمّى عسكر المهدي لانه كان عسكر بحذاء مدينة ابي جعفر المنصور [ويبنى هناك مسجد جامع حسن . والآن فقد خرب ذلك المكان ولم يبق معمور غير الجامع ومقابر قريش والمحلة المعروفة بقبر ابي حنيفة رضي الله عنه . وانتقلت العمارة الى نهر معلّى وقد سوّر في زماننا هذا وهو عشر الستين وخمسمائة بسور حصين منيع . وبين يديه خندق عميق محيط به يتخرّقه ماء الدجلة](٢) ويسمى الجانب الغربي جانب الكرخ وبها مساجد للجمعة وصلاتها خاصة في اربعة مواضع منها فمنها في الجانب الغربي الذي بمدينة ابي جعفر ، وبالرصافة جامع آخر لاهل باب الطاق وفي دار السلطان ايضاً جامع بحضرة الخاصة والعامة ومسجد برانا في الجانب الغربي واستحدثه امير المؤمنين علي صلوات الله عليه وتتصل عمارة الجانب الشرقي في اسفل دار الخلافةبكلواذى، وهي ايضاً مدينةقصدةفيها مسجد جامع ولو عدّ في جملة بغداد لجاز لانّ كثيراً من اهلها يصلون فيه . وبين الجانبين في وقتنا هذا جسر بقرب باب الطاق ، وكانا اثنين لعبر المجتازين ، ولما بان النقص عليهما عُطّل احدهما لبيان الاختلال وهلك اكثر محالها وذلك انه كان من باب خراسان عمارة الى ان تبلغ الجسر وتمتد الى باب الياسرية من الجانب الغربي وعرضها فقد اختل ايضاً من الجانبين جميعاً نحو خمسة اميال، ونقص وهلك منه الكثير واعمر بقعة بها اليوم الكرخ وجانبه لان اهل الياسرية ومعظم مساكن التجار هناك وذكر بعض المؤلفين انّ الموفق امر بمساحتها فوجد الجانب الشرقي مائتي حبل وخمسين حبلاً وعرضه مائة حبل وخمسة احبل . ويكون ذلك ستة وعشرين الف جريبا ، ومائتين وخمسين جريبا ، وهذا حساب لا اعرفه ووجد الجانب الغربي مائتين وخمسين حبلاً والعرض سبعين حبلاً ، سبعة عشر الف وخمس مائة جريب . الجميع ثلاثة واربعون الف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً . ويكون بفدان مصر حساب كل جريبين ونصف فدان سبعة عشر الف فدان وخمس مائة فدان ، وكانت هذه مساحة رفعتها .

فاما الاشجار والانهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة فإنّها من ماء النهروان وتامرا ، ونسى يرفع إليها من دجلة الا شيء يقصر عن العمارة . واما الجانب الغربي فيشق إليه من الفرات نهر عيسى من قرب الانبار تحت قنطرة دمّمّا ، وتتحلّب من هذا النهر صبابات تجتمع فتصير نهراً يسمى الصراة يفضي ايضاً الى بغداد [عند المحلّة المعروفة بباب البصرة](٢) وعليه عمارات كثيرة للجانب الغربي وتتفجر منه انهار كثيرة لعمارات الناحية ، ويقع ما يبقى من ماء الصراة الصغيرة والكبيرة فيما يجاور نهر عيسى من بغداد في نحو نصف المدينة وعليها كثير من مساكنهم ودورهم وبساتينهم .

فاما نهر عيسى فإن السفن تجري فيه من الفرات الى ان يقع في دجلة والصراة فيها حواجز وموانع من جري السفن بسكور ودوال فيها ، فتنتهي السفن فيها الى قنطرتها ثم يحول ما يكون فيها فيجاور به ذلك الحاجز الى سفن غيرها . وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه انهار من الفرات ، فاولها مما يلي بغداد نهر صرصر عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن ، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار صغيرة من بغداد على ثلاثة فراسخ . ثم ينتهي على فرسخين الى نهر الملك وهو كبير ايضا اضعاف نهر صرصر في غزر مائه ، وعليه جسر من سفن يعبر عليه ونهر الملك مدينة اكبر من صرصر عامرة باهلها ، وهي اكثر نخلا وزرعا وثمرا وشجرا منها . ثم ينتهي الى قصر ابن هبيرة ، وليس بين بغداد والكوفة مدينة اكبر منها وهي بقرب نهر الفرات الذي هو العمود ويطلع اليها هناك عن يمين وشمال انهار مفترقة ليست بكبار ، الا انها تعمهم

---

(٢) ما بين القوسين زيادة مقحمة في النص . واثبتها كما هي حفاظا على الامانة العلمية .

لحاجتهم وقوتهم وهي اعمر نواحي السواد ؛ ثم ينتهي الى نهر سورا وهي مدينة مقتصدة ونهر كثير الماء وليس للفرات شعبة اكبر منه وينتهي الى سائر سواد الكوفة ، ويقع الفاضل منه الى بطائح الكوفة وسورا هذه بين تلك النواحي اكثرها كروما واشربة ؛ وكربلا من غربي الفرات فيما يحاذي قصر ابن هبيرة ، وبها قبر الحسين بن علي صلوات الله عليهما ، وله مشهد عظيم وخطب في اوقات من السنة بزيارته وقصده جسيم .

— ٥ —

القدسي : محمد بن احمد ، ت/٣٩٠هـ

احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

بغداد في مصر الاسلام ، وبها مدينة السلام ، ونهم الخصائص والظرافة والقرائح واللطافة هواء رقيق وعلم دقيق ، كلٌّ جيّد بها ، وكلّ حسن فيها ، وكلٌّ حاذق منها وكلّ ظرف لها . وكلّ قلب إليها وكل حرب عليها ، وكلٌّ ذبّ عنها ، هي اشهر من ان توصف واحسن من ان تنعت واعلى من ان تمدح احدثها ابو العباس السفاح ثم بنى المنصور بها مدينة السلام وزاد فيها الخلفاء من بعده ولما اراد بناء مدينة السلام . سأل عن شتائها وصيفها ، والامطار والبق والهواء وامر رجالاً ، حتى يناموا ، فيها فصول السنة حتى عرفوا ذلك ثم استشار اهل الراي من اهلها فقالوا نرى ان تنزل اربع طساسيج في الجانب الشرقي بوق وكلواذى وفي الغربيّ قطربّل وبادوريا فتكون بين نخل وقرب ماء فان اجدب طسوج او تأخرت عمارته كان في الآخر فرج وانت على الصراة تجيئك الميرة في السفن الفراتية والقوافل من مصر والشام في البادية وتجيئك آلات من الصين في البحر ومن الروم والموصل في دجلة فانت بين انهار لا يصل إليك العدوّ الاّ في سفينة او على قنطرة على دجلة وفرات فبناها اربع قطع مدينة السلام وبادوريا والرّصافة وموضع دار الخليفة اليوم وكانت احسن شيء للمسلمين واجلّ بلدٍ وفوق ما وصفنا حتى ضعف امر الخلفاء فاختلّت وخفّ اهلها ، فامّا المدينة فخراب والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب اعمر موضع بها قطيعة الربيع والكرخ في الجانب الغربي وفي الشرقي باب الطاق وموضع دار الامير والعمارات والاسواق بالغربيّ اكثر والجسر عند باب الطاق الى جانبه بيمارستان بناه عضد الدولة حصل في كلّ طسوج ممّا ذكرنا جامع وهي في كلّ يوم الى وراء . واخشى انها تعود كسامرا مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان اخبرنا ابو بكر الاسماعيليّ بجرجان قال حدّثنا ابن ناجية قال حدّثنا ابراهيم الترجمانيّ قال حدّثنا سيف بن محمّد قال حدّثنا عاصم الاحول عن ابي عثمان النهديّ قال كنتُ مع جرير بن عبدالله فقال ايّ شيء يدعى هذا النهر قالوا دجلة قال فهذا النهر الاخر قالوا دُجَيْل قال فهذا النهر قالوا صَرَاة قال فهذا النخل قالوا قُطْرُبُّل قال فركب فرسه واسرع ثم قال سمعت رسول الله ؛ صلعم ، يقول تبنى مدينة بين دجلة ودُجَيْل وقطربّل والصراة تجبى اليها خزائن الارض وجبابرتها يخسف بهم فهم اسرع هوياً في الارض من الوتد الحديد في الارض الرخوة ، وانهار الفرات تقلب في دجلة في جنوبيّها وما حاذى المدينة وما شماليّها دجلة حسب وتجرى في هذه الشعب الفراتيّة السفن الى الكوفة وفي دجلة الى الموصل وذكر الشمشاطيّ في تاريخه ان المنصور لمّا اراد بناءّ مدينة السلام احضر اكبرّ منْ عرف من اهل الفقه والعدالة والامانة والمعرفة بالهندسة وكان فيهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت وانحجّاج بن أرْطاة وحشر الصنّاع والفعّلة من الشام والموصل والجبل وسائر اعماله وامر بخطّها وحفر الاساسات في سنة ١٤٥ وتمّت في سنة ٤٩ وجعل عرض السور من اسفل خمسين ذراعاً وجعلها بثمانية ابواب اربعة داخلة صفار واربعة خارجة كبار باب البصرة وباب الشام وباب خراسان وباب الكوفة وجعل الجامع والقصر وسطها وقبلة جامع الرّصافة اصحّ منه ووجدتُ في بعض خزائن الخلفاء ان المنصور انفق على مدينة السلام اربعة الاف الف وثمانمائة وثلاثين درهماً لان اجرة الاستاذ كانت قيراطاً والروزكاري حبّتين .

— ٦ —

المنجم : الشيخ اسحق بن حسين المنجم ت/حوالى « القرن الخامس » .

أكام المرجان[1]

ذكر مدينة بغداد

وانما رجعنا الى ذكر مدينة بغداد بعد تقديم

---

(١) اكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ص ٤ـ٥ طبعة بالاوفسيت د. ت .

ما وجب تقديمه لانّها اصل المدائن واحسنها بنياناً واطيبها هواء وهي في وسط الاقليم الرابع الذي هو اعزّ الاقاليم واهلها اعظم الناس في ضروب اللّب والفهم بناها ابو جعفر المنصور من بني العباس وابتدأ بذلك في الاول سنة احدى واربعين ومائة ونقل إليها البناة والحذّاق والصناع من جميع البلدان وجعلها مدورة ووسع رياضها وازقتها وكان الذي تولى ذلك من اهل الحساب والمهندسين الحجاج بن يوسف الحاسب والطبري وابراهيم الفزاري ولها درب بابواب في دورها عشرون ذراعاً ولها اربعة ابواب ما بين كل باب خمسة آلاف ذراع باب الكوفة وباب البصرة وباب خراسان وباب الشام وعلى كلّ باب تلبيس من الحديد لا يغلقها الاّ جماعة من الرجال ولكل باب منها دهليز وعلى كلّ باب منها قبة عظيمة مزينة بالذهب وحول القصر دور الأولاد من بني العباس ، واهل الخدمة والقصر في وسط المدينة ، والى جانبه المسجد الاعظم وهي بين نهر الدجلة والفرات وكان بها من المساجد في القديم الف مسجد وعشرون الف حمام وبعدها عن خط المغرب سبعون درجة وذلك من الاميال اربعة آلاف وستمائة وعشرون ميلاً وبعدها عن خط الاستواء في الشمال ثلاث وثلاثون درجة وذلك من الاميال الفان ومائة وثمانية وسبعون ميلاً وكان المنصور قد نقل اليها النخل والاشجار فانبتت ونمت في مدة يسيرة وذلك لطيب مائها واعتدال هوائها وكذلك نقل إليها الرخام والاساطين والصناع من كل بلد وامر اهل الخدمة ان يقطع كلّ واحد منهم ويبني فقطعوا واكثروا البناء وقامت في اقل مدة وبساتينها تسقى بماء الدجلة والفرات في قنوات وكان سكنى المنصور قبل ذلك في مدينة الانبار ثم نزلها السفاح اول خلفاء بني العباس .

- ٧ -

البكري :

معجم ما استعجم(١)

بغداد : فيها اربع لغات ــ بغداد بدالين مهملتين ، وبغداذ معجمة الاخيرة وبغدان بالنون ، ومَغدان بالميم بدلاً من الباء ، تذكّر وتؤنث .

(١) ابو عبيد عبدالله عبدالعزيز البكري الاندلسي ت/٤٨٧هـ معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، ٢٦١/١ تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الاولى ــ ١٩٤٥ القاهرة .

قال ابن الانباري : انبانا ابو العباس ؛ قال : سمعت ابن الاعرابي يقول : لولا انّ تراباً بغداذ كحلٌ لسمي اهلها . وانشد :

ما انتِ يا بغداذ الاّ سَلْتَحُ
وانْ سكنْتِ فترابٌ بَرْحُ

وانشد ابو بكر المخزومي في بغدان :

اقرا سلاما على نَجدٍ وساكنِه
وحاضرٍ باللّوى إن كانَ او بادي
سلامَ مغتربٍ بغدان منزلُه
إن انجدَ الناس لم يَهْنَمْ بانجادِ

وانشد صاحب العين شاهداً على بغداذ :

لما رايتُ القومَ في اغذاذِ
وإنّه السَّيرُ الى بغدادِ
جئتَ فسلّمتُ على معاذِ

قال ابو حاتم : سألت الاصمعي كيف يقال : بغداد او بغداذ : او بغدان ، او بغدين ؟ فقال : قل مدينة السلام وابغضه اليّ بغداذ ، بالذال المنقوطة هكذا نقل عنه ابو حاتم قال ابو حاتم : وانما كره الاصمعي هذه الاسماء لانّ بغداذ بالفارسية عطية الصنم ، لانّ [بغ] صنم ؛ و [داذ] عطية وكانت قرية من قرى الفرس فاخذها ابو جعفر غصباً فبنى فيها مدينته .

قال الجرجاني : باغ بالفارسية هو البستان الكثير الشجر وداذ معطى ، فمعناه معطى البساتين .

- ٨ -

ياقوت الحموي : شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي ت/٦٢٦هـ

(ا) المشترك وضعا والمفترق صقعا(١)

بغداد البلد المشهور المعروف فيه لغات وله اشتقاق بسطت القول فيه في المعجم (معجم البلدان) . وبغداد حدثني الحافظ ابو عبدالله محمد بن محمود ابن النجّار قال : خرجنا من مكة نريد جدة فسمعتهم يقولون الليلة نبيت في بغداد فباتوا في منزل قفر هناك ، لا ادري قال في

(١) تحقيق : فردناند وستنفلد . ط. جوتنجن ١٨٤٦ . ص ٦٠ .

المنزل الأول او الثاني من مكة . وقال لي الشيخ الامام ابو الربيع سليمان بن الربحاني جزاه الله خيرا اسم هذا الموضع بغيديد بالتصغير وهو على ليلة من مكة(*) .

* **باب الحريم** : بفتح الحاء وكسر الراء ، وياء ساكنة الاول [وميم] حريم دار الخلافة ببغداد وهو مقدار ثلث مدينة السلام بغداد ، وعليه سور ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه الى دجلة كهيئة الهلال او نصف دائرة وله ابواب اولها باب الغربة على دجلة ثم باب سوق التمر ؛ باب شاهق البناء واغلق في اول ايام الناصر ابي العباس احمد، واستمرّ غلقه الى الآن ثم باب البدرية ثم باب النوبي . وفيه المتبة التي تقبلها الرسل والملوك وغيرهم . إذا قدموا بغداد . وهي قطعة من عمود رخام ابيض مطروحة امام هذا الباب طولاً ؛ ثم باب العامة ويقال له ايضاً باب عمورية . وبين هذين البابين محالّ يسكنها عامة الناس بينهم وبين دار الخلافة سور آخر فيه عدة ابواب منها باب الدّوامات وباب عليان ؛ وباب الحرم وغير ذلك ؛ ثم يمتد السّور من باب العامة نحو ميل لا باب فيه الاّ باب بستان في آخر المأمونية تحت المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا في الاعياد ، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة من جهة باب الازج نحو رميتي سهم وهو من ناحية الشرق وجميع ما يشتمل عليه هذا السّور يسمى حريم دار الخلافة فيه محال واسواق وخانقاهات ودور كثيرة للرعية كأكبر مدينة وبين منازل الرّعية وبين دجلة سور آخر من دونه دور الخلافة لا يشركه فيه شيء من منازل غيره وانّما بسطنا القول في هذا ، وذكرناه لكثرة ما يجيء ذكره في التواريخ والاخبار ، وربّما نسب إليه بعض الرواة . الثاني باب الحريم الطاهري في اعلا مدينة دار السلام بغداد في الجانب الغربي كان منازل آل طاهر بن الحسين وكان من لجأ إليه أمِنَ فسمي الحريم ، وقد نسب إليه جماعة من رواة الحديث منهم ...(*)

والدور محلّة في طرف بغداد بباب الطاق قرب مشهد ابي حنيفة الامام خربت ينسب إليها ابو عبدالله محمد بن مخلد بن حفص الدوري العطار ، سمع يعقوب الدورقي والزبير بن بكار وغيرهما ، روى عنه الدارقطني وابو الحسين الاجُري والجعاني وغيرهم ؛ وكان ثقة ولد في رمضان سنة ٢٣٣هـ ومات في جمادى الآخرة سنة ٣٣١هـ وانهيثم بن محمد الدوري .

باب دولاب : يروى بضم الدال وفتحها دولاب مبارك في شرقي بغداد ينسب إليها ابو جعفر محمد بن الصبّاح البزاز الدولابي سمع ابراهيم بن سمد واسماعيل بن جعفر وشريكا وغيرهم ، روى عنه احمد بن حنبل وابنه عبدالله وابراهيم الحربي واصله من هراة مولى لمزّينة سكن بغداد وابنه احمد بن محمد بن الصباح حدث عن ابيه وغيره .

باب ربض الارباض كثيرة قلّ ما تخلو مدينة من موضع فيها يقال له الرّبض ؛ وانّما المذكور منها ها هنا ما نُسب إليه احد او ما لا يعرف الاّ باضافته الى رجل ؛ والربض في الاصل حريم الشيء يقال اربض بالضم وتسكين الباء اساس المدينة والرّبض بالفتح والتحريك ما حوله من خارج وقيل هما لغتان ، وقد نسب الى هذه الارباض قوم يحتاج الى التفرقة بينهم ، الاول ربض ابي حنيفة بالجانب الغربي من بغداد قرب الحريم الطاهري ينسب الى قائد من قوّاد المنصور يقال له ابو حنيفة ، وربض ابي عون ببغداذ وابو عون من موالي المنصور . وربض اصبهان ينسب اليه ابو شكر احمد بن محمد بن علي الربضي سمع الاصبهانيين روى عنه ابو سعود سليمان بن ابراهيم الحافظ الاصبهاني ، وربض حرب وهو المحلة المعروفة اليوم بالحربية ببغداد ، وحرب من قواد المنصور وربض حمزة محلّة كانت في غربي بغداد خربت .

وربض حُميد بن قحطبة الطائي ببغداد ومتصل بالنصرية .

وربض الخوارزمية ببغداد ايضا يتصل بربض الفرس من الجانب الغربي .

وربضُ رشيد ببغداد متصل بربض الخوارزمية ، ورشيد من موالي المنصور وهو والد داود بن رُشيد المحدّث ، وربض زهير بن المسيب ببغداد متصل بربض سعيد بن حُميد ، وربض سعيد بن حُميد ، وربض سلمان بن مجالد مولى المنصور ببغداد .

وربض عثمان بن نُهيك متصل بربض الخوارزمية .

وربض نصر بن عبدالله ببغداد يعرف اليوم بالنصرية .

وربض هيلانة بين الكرخ وباب مُحوّل

(*) في الاصل بياض ١٢٩ ـ ١٣٠ .

وهيلانة قهرمانة المنصور أو حظية الرشيد والى احد هذه الأرباض التي ببغداد ينسب ابو ايوب سليمان الرئبضي الضرير حدث عن داود بن المحبّر ابن محـــدم ، روى عنـه ابراهيم بن الوليـد الحشّاش .

(باب الرصافة)

بضم الراء رصافة بغداد محلة كبيرة بالجانب الشرقي عمرها المنصور لابنه المهـدي وهي التي تعرف ايضا بعسكر المهدي وقد حدث من اهل هذه الرصافة جماعة منهم محمد بن بكار بن ريّان ابو عبدالله الرصافي مولى بني هاشم وجعفر بن محمد بن علي ابو الحسن السّمّار وغيرهمـا كثير .

الرملة محلّة كانت ببغداد في مشرعة الكرخ الى دجلة ثم خربت وهي في الجانب الغربي .

وروذبار من قرى بغداد ينسب اليها احمد ابن عطاء الروذباري ابن اخت ابي علي الروذباري قاله ابو موسى الحافظ والنسوي ، والباطقراني الى روذبار بغداد .

الرّيان محلّـة ببغـداد عامـرة الـى الآن بالقرب من باب الازج ينسب إليها ابو المعالي هبة الله بن الحسين بن الحسن بن ابي الاسـود الرياني يعـرف بابن التـل حـدث عن قاضي البيمارستان وغيره .

باب الزبيدية : منسوبـة الى زبيـدة بنت جعفر بن المنصـور ام محمد الامين بن الرشيد ، والزبيدية محلّة ببغداد بالجانب الغربي قرب باب التبن ، والزبيدية ايضا محلة ببعـداذ من الجانب الغربي اسفل مدينة السلام .

باب الزعفرانية : والزعفرانية قريـة قرب كلـواذا تحت بغـداد ينسب إليهـا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني وإليـه ينسب درب الزعفراني ببغداد وهو صاحب الشافعي قرأ عليه كتبه لما ورد الى بغداد فقال له الشـافعي من اي العرب انت فقال ما انا بعربي وانّما انا من قريـة يقال لها الزعفرانية فقال له انت سيد هذه القرية وسمع ايضا ابن عيينة وغيره روى عنـه ابو داود السجستاني والترمذي وغيرهما ، وتوفي سـنة ٢٤٩ في ربيع الآخر وقد نسب جماعة الى درب الزعفراني هذا ؛ هكذا .

باب الزوراء بفتح الزاي وسكون الواو ، وراء والمدّ ، الزوراء اسـم لدجلـة ببغـداد سميت بذلك لميلها وانعراجها ، والزوراء مدينـة المنصور ببغداد تسمى الزوراء (ايضا) ، قالوا لانه جعل ابوابها الداخلة مزوّرة عن ابوابها الخارجة .

باب الزهيرية : ربض كان ببغداد ينسب الى زهير بن المسيب في شارع الكوفة .

والزهيرية (ايضا) محلّة كانت ببغداد ايضاً يقال لها قطيعة زهير بن محمد الابيوردي وهـو ازدي غامدي الى جانب قطيعة ابي النجم .

الزيدية : قرية من سواد بغداد من اعمال بادوريا ، ينسب اليها ابو بكر محمد بن يحيى بن محمد النشوكي الزيدي سمع محمد بن اسماعيل الوراق وابا حفص بن شاهين وغيرهما .

باب السلام بفتح السين مدينـة السلام بغـداد ينسب اليها سلامي ، كما نسب إليهـا محمد بن عبيدالله السلامي الشاعر مات سـنة ٣٩٢هـ وابو الفضل محمد بن ناصـر السلامي الحافظ ولد سنة سبع او ثمان وستين واربعمائة ومات في شعبـان سنة ٥٥٠ وغيرهما وقصـر السلام من ابنية الرشيد بالرقة .

سوق الثلاثاء بنهـر المعلّى من محـال مدينة السلام بغداد كانت تقام فيـه سوق في كل شهر مرة في يوم الثلاثاء فنسب إليه اليـوم الذي كانت تقام فيه وذلك قبل ان يعمر المنصور بغداد وهو الآن من اعمر محال بغداذ وبه معظم سـوق البزازين .

سوق السلاح محلة كانت ببغداد نسب إليها ابو الحسين محمد بن محمد بن المظفر بن عبدالله الدقاق السلاحي المعروف بابن السراج بغدادي سكن سوق السلاح سمع ابا القاسم بن حبابة وعلي ابن عمر الحربي وابا عبيدالله المرزباني سمع منـه الحافظ ابو بكر احمـد بن علي الخطيب ؛ وكان صدوقا مولده سنة ٣٧٤ ، ومات سنة ٤٤٨ .

وسوق عبدالواحـد كان ببغـداد بالجانب الغربي عند باب الكوفة قرب باب البصرة ، وسوق العطش كان من اكبر محال بغداد بالجانب الشرقي بين الرصافة ونهر المعلّى بناه سميد الخُرسي للمهدي ، وقال له المهدي عند تمامه سمّه سوق الري فقلب عليه سوق العطش ، والخرسي نسبة الى خراسان وكان صاحب الشرطة ببغداد .

وسوق يحيى ببغداد بين الرصافـة ودار المملكة منسوبة الى يحيى بن خالد البرمكي وايّاها عنى ابن حجّاج بقوله [الى وطني القديم بسوق يحيى فقلبي عن هواه غير سالي] .

سويقة حجاج منسوبة الى حجاج الوصيف مولى المهدي كانت بشرقي بغداد خربت.

سويقة العباسية بنت الرشيد بن المهدي ببغداد .

وسويقة ابي عبيدالله بن معاوية بن عمرو وزير المهدي كانت بين الرصافة ودار المملكة خربت .

وسويقة عبدالوهاب محلة قديمة في غربي بغداد تنسب الى عبدالوهاب بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس .

وسويقة خالد ببغداد تنسب الى خالد بن برمك كانت بباب الشماسية من شرقي بغداد .

وسويقة غالب من محال بغداد ينسب اليها بعض الرواة .

وسويقة نصر وهو نصر بن مالك الخزاعي في شرقي بغداد اقطعه اياها المهدي وهو والد احمد ابن نصر الزاهد الممتحن في ايام الواثق في خلق القرآن المصلوب فيه ولم يقل انه مخلوق .

وسويقة ابي الورد في غربي بغداد بين الكرخ والصراة تنسب الى ابي الورد عمر بن المطرف الخراساني صاحب المظالم في ايام المهدي .

وسويقة الهيثم في غربي بغداد تنسب الى الهيثم بن سعيد بن ظهير مولى المنصور قرب مدينة المنصور .

شارع الانبار من محال بغداد قرب مدينة المنصور من جهة الانبار فلذلك سميت شارع الانبار .

شارع دار الرقيق ببغداذ ايضا محلة متصلة بالحريم الطاهري من الجانب الغربي عامرة الى الآن .

شارع الميدان من محال بغداد ايضاً بالجانب الشرقي بظاهر الرصافة ؛ وكان شارعا مادا من باب الشماسية الى سوق الثلاثاء ؛ ولهذه الشوارع ذكر في الاخبار والاشعار كثير ، فذاك الذي اوجب ذكرها .

باب طاق : طاق اسماء في شرقي بغداد بين الرصافة ودار المملكة منسوب الى اسماء بنت المنصور وهو الذي يُقال له راس الطاق كان طاقا عظيماً يجلس اليه الشعراء . وطاق الحراني محلة كانت ببغداد في الجانب الغربي قالوا هو من حدّ القنطرة الجديدة . والحراني هذا هو ابراهيم ابن ذكوان بن الفضل الحراني من موالي المنصور ووزير الهادي موسى بن المهدي .

الطاهرية : من قرى بغداد يستنقع في موضع من ارضها فضلات مياه الامطار والانهار فيتولد فيه سمك كثير جداً بسميه اهل العراق البني اطيب ما يكون من انواع السمك فيضمنه السلطان بمال وافر .

والطاهري بغير هاء الحريم الطاهري (محلة) ببغداد (معروفة) تقدم ذكره في الحريم .

باب عسكر : عسكر ابي جعفر المنصور امير المؤمنين وهي مدينته المسماة اليوم **باب البصرة** التي بها جامع المنصور ، وقصره ببغداد .

باب القريّة وهو تصغير القرية القرّيّة محلة كبيرة في حريم دار الخلافة ببغداد سكنتها وكان بها جماعة من اهل العلم ونسبوا إليها **والقرية** ايضاً محلة كبيرة كالمدينة ذات اسواق وجامع مفرد بالجانب الغربي من بغداد مقابل سوق المدرسة النظامية كان بها جماعة ممن روى الحديث .

باب القطيعة اربعة عشر موضعا بفتح القاف وكسر الطاء وياء ساكنة وعين مهملة وهاء وجميعها محال ببغداد قد نسب الى بعضها قوم من المحدثين فذلك اوجب ذكرها كان ابو جعفر المنصور لما عمر بغداد اقطع كلّ واحد من قوّاده واعيان اصحابه موضعاً ليعمره ويسكنه ؛ هو واتباعه ففعلوا ونسبت كل قطيعة الى من عمرها وانا اذكر من اضيفت إليه القطيعة على حروف المعجم ؛ قطيعة اسحق الازرق الشروي مولى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، وهو قرب الكرخ ؛ وقطيعة ام جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور كانت ببغداد قرب باب التبن من الجانب الغربي ينسب اليها اسحق بن محمد بن اسحق القطيعي الناقد حدّث عن الحسن بن عرفة وغيره، وقطيعة بني جدار بطن من الخزرج نسب إليها بعض الرواة جداري ، وقطيعة الدقيق ببغداد بالجانب الغربي ينسب إليها ابو بكر احمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي وكان من المكثرين روى عنه الائمة ، ومات سنة ٣٦٨ ، وقطيعة الربيع بن يونس حاجب المنصور ، اقطعه إياها المنصور ؛ وتعرف بالقطيعة الداخلة ينسب إليها ابو معمر اسماعيل بن ابراهيم بن معمر بن الحسن الهروي القطيعي بغدادي ثقة ، وقطيعة الربيع ايضاً ، وتعرف بالقطيعة الخارجة اقطعه

أياها المهدي بالله أمير المؤمنين ، وقطيعة ربـانة بعض انقهارمة محلة كانت بقرب مسجد رغبـان في غربي بغداد قرب باب الشعير ، وقطيعة زهير قرب حريم بني طاهر بالجانب الغربي وهو زهير بن محمد الابيوردي ، وقطيعة العجم بالجانب الشرقي بين باب الحلبة **وباب الازج** محلة كبيرة ينسب إليها جماعة منهم ابو العباس احمد عمر القطيعي الحنبلي كان واعظاً وابنه ابو الحسين محمد تركته ببغداد حيا سمع وروى وصنف ويرى انه من الحفاظ الاعيان ، وقطيعة العكي وهو مقاتل بن حكيم بن عبدالرحمن بن الحرث من قواد المنصور بين باب البصرة وباب الكوفة من مدينة المنصور . وقطيعة عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس ـ عم المنصور ـ ببغداد ينسب اليها ابراهيم ابن محمد بن الهيثم القطيعي كان يسكن في جوار عبد العجل بقطيعة عيسى حدث عن منصور بن ابي مزاحم وابي معمر الهذلي وعمرو الناقد وغيرهم روى عنه ابو عبدالله المحاملي وغيره ؛ وقطيعة الفقهاء بالكرخ وقد فرق المحدثون بينها وبين قطيعة الربيع بالكرخ فنسبوا الى هذه أبا اسحق ابراهيم ـ بن محمد ـ بن منصور القطيعي الكرخي روى عن خديجة بنت محمد بن عبدالله الشاهجانية وابي بكر الخطيب وغيره ذكره ابو سعد في شيوخه وتوفي سنة سبع او ثمان وثلاثين وخمسماية ؛ وقطيعة ابي النجم احد قواد المنصور متصلة بقطيعة زهير متصلة بالحريم الطاهري ؛ وقطيعة النصارى محلة متصلة بنهر طابق من محال بغداد .

المالكية قريبة على باب مدينة السلام ـ بغداد ـ مقابل باب الظفرية .

باب المحمدية : والمحمدية ايضا من قرى بغداد من ناحية نهر سلّ نسبوا إليها ابو علي محمد ابن الحسين بن احمد بن الطيب المحمدي الاديب روى عنه هبة الله الشيرازي .

ياقوت الحموي : شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ت/٦٢٦هـ .

(ب) معجم البلدان[1]

بغداد أمّ الدنيا وسيّدة البلاد .. قال ابن الانباري اصل بغداد للأعاجم والعرب تختلف في لفظها إذ لم يكن اصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم .. قال بعض الأعاجم تفسيره بستان رجل ، فباغ بستان وداد اسم رجل وبعضهم يقول بغ اسم للصنم فذكر انه اهدي الى كسرى خصيٌّ من المشرق فاقطعه إياها وكان الخصي من عباد الأصنام ببلده فقال بغ داد اي الصنم اعطاني وقيل بغ هو البستان وداد أعطى وكان كسرى قد وهب لهذا الخصيّ هذا البستان فقال بغ داد فسمّيت به .. وقال حمزة بن الحسن بغداد اسم فارسي معرّب عن باغ داذوبة لأنّ بعض رقعة مدينة المنصور كان باغاً لرجل من الفرس اسمه داذويه وبعضها اثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطها فاعتلّ فقالوا : ما الذي يأمر الملك ان تسمى به هذه المدينة فقال : هيلدوه وروزه ، اي خلوها بسلام فحكى ذلك للمنصور فقال سميتها مدينة السلام . وفي بغداد سبع لغات ـ بغداد وبغدان وبابى اهل البصرة ولا يجيزون بغداذ في آخره الذال المعجمة وقالوا لانّه ليس في كلام العرب كلمة فيها دال بعدها ذال .. قال ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحق فقلت لأبي اسحق ابراهيم ابن السري فما تقول في قولهم خرداذ فقال هو فارسي ليس من كلام العرب قلت انا وهذا حجة من قال بغداذ فإنه ليس من كلام العرب واجاز الكسائي بغداد على الأصل وحكى ايضا مغداذ ومغداد ومغدان وحكى الخارزنجي بغداد بدالين مهملتين ، وهي في اللغات كلّها تذكّر وتؤنث وتسمى مدينة السلام ايضا .. فامّا الزوراء فمدينة المنصور خاصة وسميت مدينة السلام لان دجلة يقال لها وادي السلام ؛ وقال موسى بن عبدالحميد النسائي كنت جالساً عند عبدالعزيز ابن ابي رواد فأتاه رجل فقال له من اين انت فقال له من بغداد فقال : لا تقل بغداد فان بغ صنم وداد اعطى ولكن قل مدينة السلام فإن الله هو السلام والمدن كلّها له وقيل إن بغداد كانت قبل سوقا يقصدها تجار اهل الصين بتجاراتهم فيربحون الرّبحَ الواسع وكان اسم ملك الصين بغ فكانوا إذا انصرفوا الى بلادهم قالوا بغ داد اي ان هذا الرّبح الذي ربحناه من عطية الملك وقيل إنما سميت مدينة السلام لانّ السلام هو الله فارادوا مدينة الله .. واما طولها فذكر بطليموس في كتاب الملحمة المنسوب إليه ان مدينة بغداد طولها خمس وسبعون درجة وعرضها اربع وثلاثون درجة داخلة في الاقليم الرابع .. وقال ابو عون

---

(١) معجم البلدان ١/٤٥٦ ـ ٤٦٧ ، ط . دار صادر بيروت ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

وغيره إنهـا في الاقليم الثالث . قال : طالعهـا السماك الأعزل بيت حياتها القوس لها شركة في الكف الخضيب ولها اربعة اجزاء من سرّة الجوزاء تحت عشر درج من السرطان يقابلها مثلهـا من الجدي عاشرها مثلها من الحمل عاقبتها مثلها من الميزان ؛ قلت انا ولا شك ان بغداد احدثت بعد بطليموس باكثر من الف سنة ، ولكني اظنّ ان مفسّري كلامه قاسوا وقالوا ؛ وقال صاحب الزيج طول بغداد سبعون درجة وعرضهـا ثلاث وثلاثون درجة وثلث وتعديل نهارها ست عشرة درجة وثلثا درجة . واطول نهارها اربع عشرة ساعة وخمس دقائق وغاية ارتفاع الشمس بهـا ثمانون درجة وثلث . وظلّ الظهر بهـ درجتان ، وظل العصر اربع عشرة درجة ، وسمت القبلة ثلاث عشرة درجة ونصف ، وجهها عن مكة مائة وسبع عشرة درجة في الوجود ثلاثمائة درجة هذا كلّه نقلته من كتب المنجمين ولا اعرفه ولا هو من صناعتي .. وقال احمد بن حنبل بغداد من الشراة الى باب التبن وهو مشهد موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن الامام علي بن ابي طالب ، ثم زيد فيها حتى بلغت كلواذى والمخرّم وقطربّل قال اهل السّير ، ولما اهلك الله مهران بارض الحيرة ومَنْ كان معه من العجم استمكن المسلمون من الغارة على السّواد وانتقضت مسالح الفرس وتشتّت امرهم واجترا المسلمون عليهم وشنوا الغارات ما بين سورا وكسكرّ والصراة والفلالیج والاستانات .. قال اهل الحيرة للمثنى إن بالقرب منا قرية تقوم فيها سوق عظيمة في كلّ شهر مرّة فياتيها تجار فارس والاهواز ، وسائر البلاد يقال لها بغداد وكذا كانت إذ ذاك فاخذ المثنى على البرّ حتى اتى الانبار فتحصّن فيها اهلها منه فارسل الى سفرُوخ مرزبانها ليسير إليه فيكلمه بما يريد وجعل له الامان فعبر المرزبان إليه فخلا به المثنى وقال له اريد ان اُغيرّ على سوق بغداد واريد ان تبعث معي ادلاء فيدلّوني الطريق وتعقد لي الجسر لاعبُر عليه الفرات ففعل المرزبان ذلك وقد كان قطع الجسر قبل ذلك لئلا تعبر العرب عليه فعبر المثنى مع اصحابه وبعث معه المرزبان الادلاء فسار حتى وافى السوق ضحوة فهرب الناس وتركوا اموالهم فاخذ المسلمون من الذهب والفضة وسائر الامتعة ما قدروا على حمله ثم رجعوا الى الانبار ووافى معسكره غانما موفورا وذلك في سنة ١٣ للهجرة فهذا خبر بغداد قبل ان يمصّرها المنصور لم يبلغني غير ذلك .

[فصل] في بدء عمارة بغداد .. كان اول من مصّرها وجعلها مدينة المنصور بالله ابو جعفر عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ثاني الخلفاء وانتقل إليها من الهاشمية. وهي مدينة كان قد اختطها اخوه ابو العباس السفاح قرب الكوفة وشرع في عمارتها سنة ١٤٥ ونزلها سنة ١٤٩ ؛ وكان سبب عمارتها ان اهل الكوفة كانوا يفسدون جنده فبلغه ذلك من فعلهم فانتقل عنهم يرتاد موضعا . وقال ابن عياش : بعث المنصور رُوّادا وهو بالهاشمية يرتادون له موضعا يبني فيه مدينة ويكون الموضع واسطا رافقا بالعامة والجند فنُعِتَ له موضع قريب من بارمّا وذكر له غذاؤه وطيب هوائه فخرج إليه بنفسه حتى نظر إليه وبات فيه فراى موضعا طيبا فقال لجماعة منهم سليمان بن مجالد وابو ايوب المرزباني وعبدالملك بن حميد الكاتب ما رايكم في هذا الموضع قالوا طيّب موافق فقال صدقتم ولكن لا مرفق فيه للرعية وقد مررت في طريقي بموضع تجلب إليه الميرة والامتعة في البرّ والبحر وانا راجع إليه وبائت فيه فان اجتمع لي ما اريد من طيب الليل فهو موافق لما اريده لي وللناس ؛ قال فاتى موضع بغداد وعبر موضع قصر السلام ثم صلى العصر وذلك في صيف وحرّ شديد وكان في ذلك الموضع بيعة فبات اطيب مبيت واقام يومه فلم ير الاّ خيرا فقال هذا موضع صالح للبناء فإن المادة تاتيه من الفرات ودجلة وجماعة الانهار ولا يحمل الجند والرّعية إلا مثله فخطّ البناء وقدّر المدينة ووضع اول لبنة بيده فقال بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله ؛ وذكر سليمان بن مختار ان المنصور استشار دهقان بغداد وكانت قرية في المربّعة المعروفة بابي العباس الفضل بن سليمان الطوسي وما زالت داره قائمة على بنائها الى ان خرّب كثير مما يجاورها في البناء فقال الذي اراه يا امير المؤمنين ان تنزل في نفس بغداد فإنك تصير بين اربعة طساسيج ، طسّوجان في الجانب الغربي وطسّوجان في الجانب الشرقي فاللذان في الجانب الغربي قطربّل وبادوريا واللذان في الشرقي نهر بوق وكلواذى فان تاخّرت عمارة طسوج منهاكان الآخر عامرا وانت يا امير المؤمنين على الصّراة ودجلة تجيئك بالميرة من القرب وفي الفرات من الشام والجزيرة ومصر وتلك البلدان وتحمل اليك طرائف

الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة وتجيئك ميرة ارمينية واذربيجان وما يتصل بها في تامرا وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة وانت بين انهار لا يصل إليك عدوك الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسر والقنطرة لم يصل إليك عدوك وانت قريب من البر والبحر والجبل ؛ فاعجب المنصور هذا القول وشرع في البناء ووجه المنصور في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط فاحضروا وامر باختيار قوم من اهل الفضل والعدالة والفقه والامانة والمعرفة بالهندسة فجمعهم وتقدم إليهم ان يشرفوا على البناء وكان ممن حضر الحجاج بن ارطاة وابو حنيفة الامام وكان اول العمل في سنة ١٤٥ وامر ان يجعل عرض السور من اسفله خمسين ذراعا ومن اعلاه عشرين ذراعا وان يجعل في البناء جرز القصب مكان الخشب فلما بلغ السور مقدار قامة اتصل به خروج محمد بن عبدالله بن حسن ابن حسن بن علي بن ابي طالب فقطع البناء حتى فرغ من امره وامر اخيه ابراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن ..

وعن علي بن يقطين قال كنت في عسكر ابي جعفر المنصور حين سار الى الصراة يلتمس موضعا لبناء مدينة ، قال فنزل الدير الذي على الصراة في الضيقة فما زال على دابته ذاهبا جائيا منفردا عن الناس يفكر قال وكان في الدير راهب عالم فقال لي لم يذهب الملك ويجيء قلت انه يريد ان يبني مدينة .. قال فما اسمه ؟ قلت : عبدالله ابن محمد .. قال ابو من ؟ قلت : ابو جعفر قال هل يلقب بشيء قلت المنصور قال ليس هذا الذي يبنيها قلت ولم ؟ قال لانا قد وجدنا في كتاب عندنا نتوارثه قرنا عن قرن ان الذي يبني هذا المكان رجل يقال له : مقلاص .. قال فركبت من وقتي حتى دخلت على المنصور ودنوت منه فقال لي ما وراءك قلت خير القيه الى امير المؤمنين واربحه من هذا العناء فقال : قل ، قلت امير المؤمنين يعلم ان هؤلاء معهم علم وقد اخبرني راهب هذا الدير بكذا وكذا فلما ذكرت له مقلاص ضحك واستبشر ونزل عن دابته واخذ سوطه واقبل يذرع به فقلت في نفسي لحقه اللجاج ثم دعا المهندسين من وقته وامرهم بخط الرماد فقلت له اظنك يا امير المؤمنين اردت معاندة الراهب وتكذيبه فقال : لا والله ولكني كنت ملقبا بمقلاص وما ظننت ان احدا عرف ذلك غيري وذاك اننا كنا بناحية السراة في زمان بني امية على الحال التي تعلم فكنت انا ومن كان في مقدار سني من عمومتي واخوتي نتداعى ونتعاشر فبلغت النوبة اليّ يوما من الايام وما املك درهما واحدا فلم ازل افكر واعمل الحيلة التي ان اصبت غزلا لداية كانت لهم فسرقته ثم وجهت به فبيع لي واشترى لي بثمنه ما احتجت إليه وجئت اني الدابة وقلت لها افعلي كذا واصنعي كذا قالت من اين لك ما ارى قلت اقترضت دراهم من بعض اهلي ففعلت ما امرتها به فلما فرغنا من الاكل وجلسنا للحديث طلبت الدابة المغزل فلم تجده فعلمت اني صاحبه وكان في تلك الحي يقال له مقلاص مشهور بالسرقة فجاءت الى باب البيت الذي كنا فيه فدعتني فلم اخرج اليها لعلمي انها وقفت على ما صنعت فلما الحت وانا لا اخرج قالت اخرج يا مقلاص ، الناس يحذرون من مقلاصهم وانا مقلاصي معي في البيت فمزح معي اخوتي وعمومتي بهذا اللقب ساعة ثم لم اسمع به الا منك الساعة فعلمت ان امر هذه المدينة يتم على يدي لصحة ما وقفت عليه .. ثم وضع اساس المدينة مدورا وجعل قصره في وسطها وجعل لها اربعة ابواب واحكم سورها وفصيلها فكان القاصد إليها من الشرق يدخل من باب خراسان والقاصد من الحجاز يدخل من باب الكوفة والقاصد من المغرب يدخل من باب الشام والقاصد من فارس والاهواز وواسط والبصرة واليمامة والبحرين يدخل من باب البصرة .. قالوا فانفق المنصور على عمارة بغداد ثمانية عشر الف الف دينار . وقال الخطيب في رواية انه انفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والابواب والاسواق الى ان فرغ من بنائها اربعة آلاف الف وثمانمائة وثلاثة وثمانين الف درهم وذاك ان الاستاذ من الصناع كان يعمل في كل يوم بقيراط الى خمس حبات والروز جاري بحبتين الى ثلاث حبات وكان الكبش بدرهم والحمل باربعة دوانيق والتمر ستون رطلا بدرهم ، قال الفضل ابن دكين كان ينادي على لحم البقر في جبانة كندة تسعون رطلا بدرهم ولحم الغنم ستون رطلا بدرهم والعسل عشرة ارطال بدرهم ، قال وكان بين كل باب من ابواب المدينة والباب الآخر ميل وفي كل ساف من اسواف البناء مائة الف لبنة واثنان وستون الف لبنة من اللبن الجعفري ؛ وعن ابن الشروي قال هدمنا من السور الذي يلي باب المحول قطعة فوجدنا فيها لبنة مكتوبا عليها بمغرة وزنها مائة وسبعة عشر رطلا ، فوزناها فوجدناها كذلك . وكان المنصور كما ذكرنا بنى

مدينته مدوّرة وجعل داره وجامعها في وسطهـــا وبنى القبة الخضراء فوق ايوان وكان علوّها ثمانين ذراعاً وعلى راس القبة صنم على صورة فارس في يده رمح ؛ وكان السلطان إذا راى ان ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومدّ الرمح نحوها علم ان بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة فلا يطول عليه الوقت حتى ترد عليه الأخبار بأن خارجيا قـد هجم من تلك الناحيـــة ؛ قلت انا هكـــذا ذكر الخطيب وهـو مـن المستحيـل والكـــذب الفاحش وانمـــا يحكى مثـل هـــذا عن سحـرة مصر وطلسمات بلبناس التي اوهم الاغمار صحتها تطاول الأزمان والتخيّل ان المتقدمين ما كانوا بني آدم ؛ فاما الملة الاسلامية فانها تجلّ عن هـــذه الخرافات فإن من المعلوم ان الحيـــوان الناطـق مكلّف الصنائع لهذا التمثال لا يعلم شيئاً ممـــا ينسب الى هذا الجماد ولو كان نبياً مرسلاً وايضاً لو كان كلّما توجهت الى جهة خرج منها خارجي لوجب ان لا يزال خارجي يخرج في كلّ وقت لانها لابدّ ان تتوجّه الى وجـــه من الوجوه ؛ والله اعلم .. قال وسقط راس هذه القبة سنة ٣٢٩هـ وكان يوم مطر عظيم ورعد هائل وكانت هذه القبة تاج البلد وعلم بغداد ومأثرة من مآثر بني العباس وكان بين بنائها وسقوطها مائـــة ونيّف وثمانون سنة ونقل المنصور ابوابها من واسط وهي ابواب الحجاج ، وكان الحجاج اخذها من مدينـــة بازاء واسط تعرف بزَنْدَوَرْد ؛ يزعمون انها من بنـــاء سليمان بن داود عليـــه السلام واقـام على باب خراسان باباً جيء به من الشام من عمل الفراعنة وعلى باب الكوفة باباً جيء به من الكوفة من عمل خالد القسري وعمل هو باباً لباب الشام وهـــو اضعفها وكان لا يدخل احد من عمومة المنصـــور ولا غيرهم من شيء من الابواب الا راجلاً الا داود ابن علي عمّه فانه كان متفرساً وكان يحمـــل في محفّة وكذلك محمد المهدي ابنـــه ؛ وكانت تكنس الرحاب في كل يوم ويحمل التراب الى خارج فقال له عمّه عبدالصمد يا امير المؤمنين انا شيخ كبير فلو اذنت لي ان انزل داخل الابواب فلم يأذن لـــه فقال يا امير المؤمنين عِدْني بعض بغال الروايا التي تصل الى الرحاب فقال يا ربيع بغال الروايا تصل الى رحابي تتخذ الســـاعة قنيّ بالساج من باب خراسان حتى تصـــل الى قصـــري ففعل ومدّ المنصور قناة من نهر دُجيل الآخذ من دجلة وقناة من نهر كرخايا الآخـــذ من الفرات وجرّهما الى مدينته في عقود وثيقة من اسفلها محكمة بالصاروج والآجر من اعلاها فكانت كلّ قناة منها تدخـــل المدينة وتنفـذ في الشـــوارع والدروب والارباض تجري صيفا وشتاء لا ينقطع ماؤها في شـــيء من الاوقات ؛ ثم اقطع المنصور اصحابـــه القطائـــع فعمروها وسمّيت باسمائهم ؛ وقـد ذكرت مـن ذلك ما بلغني في مواضعـــه حسب ما قضى به ترتيب الحروف وقد صنف في بغداد وسمتها وعظم رفعتها وسعة بقعتها وذكر ابو بكر الخطيب في صدر كتابه من ذلك ما فيه كفاية لطالبه .

[فلنذكر الآن ما ورد في مدح بغداد]

ومن عجيب ذلك ما ذكره ابـو سهـــل بن نوبخت قال : امرني المنصور لما اراد بناء بغـــداد باخذ الطالع ففعلت فاذا الطالع في الشمس وهي في القوس فخبّرته بما تدلّ النجوم عليه من طول بقائها وكثرة عمارتها وتقر الناس الى ما فيها ثم قلت واخبرك خلّة اخرى اسرّك بها امير المؤمنين قال : وما هي ؟ قلت نجد في ادلة النجوم انه لا يموت بها خليفة ابداً حتف انفه قال فتبسم وقال الحمد لله على ذلك هذا من فضل الله يؤتيه من يشـــاء والله ذو الفضل العظيم ؛ ولذلك يقول عمـارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفى :

أعاينت في طول مـن الارض او عرض
كبغـداد من دارٍ بهـا مسكن الخفض
صفا العيش في بغـداد واخضرّ عوده
وعيش سـواها غير خفض ولا غضّ
تطول بهـا الاعمـار إنّ غـذاءها
مريء وبعض الارض امـرا مـن بعض
قضى ربّهـا ان لا يموت خليفـة
بهـا انـه ما شاء في خلقـه يقضي
تنـام بهـا عين الغريب ولا تـرى
غريباً بأرض الشـام يطمع في الغمض
فإن جُزيت بغـداد منهـم بقرضها
فما اسلفتْ الا الجميلَ من القرضِ
وإن رُمّيتْ بالهجـر منهم وبالقِلى
فما اصبحت اهلاً لهجـر ولا بغضِ

وكان من اعجب العجب ان المنصـــور مات وهو حاج والمهدي ابنه خرج الى نواحي الجبـــل فمات بماسبذان بموضع يقال له الرذّ والهادي ابنه مات بعيساباذ قرية او محلة بالجانب الشرقي من بغداد والرشيد مات بطوس والأمين اخذ في شبارته وقتـــل بالجانب الشـرقي والمأمون مات

بالبذندون من نواحي المصّيصه بالشام والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر وباقي الخلفاء مالوا بسامرا ثم انتقل الخلفاء الى التاج من شرقي بغداد كما ذكرناه في التاج وتعطلّت مدينة المنصور منهم .

وفي مدح بغداد قال بعض الفضلاء : بغداد جنة الارض ومدينة السلام وقبة الاسلام ومجمع الرافدين وغرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف وبها ارباب الغايات في كلّ فن وآحاد الدهر في كلّ نوع وكان ابو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما عداها بادية ؛ وكان ابو الفرج البيغا يقول هي مدينة السلام بل مدينة الاسلام فان الدولة النبوية والخلافة الاسلامية بها عششتا وفرّختا وضربنا بعروقهما وبسقتا بفروعهما وان هواءها اغذى من كلّ هواء وماءها اعذب من كل ماء وان نسيمها ارقّ من كلّ نسيم وهي من الاقليم الاعتدالي بمنزلة المركز من الدائرة ولم تزل بغداد موطن الاكاسرة في سالف الأزمان ومنزل الخلفاء في دولة الاسلام ؛ وكان ابن العميد إذا طرأ عليه احدٌ من منتحلي العلوم والآداب وأراد امتحان عقله ساله عن بغداد ، فان فطن بخواصها وتنبه على محاسنها وائنى عليها جعل ذلك مقدّمة فضله وعنوان عقله ثم ساله عن الجاحظ فان وجد اثراً لمطالعة كتبه والاقتباس من نوره والاغتراف من بحره وبعض القيام بمسائله قضى له بانه غرة شادخة في اهل العلم والآداب وان وجده ذاما لبغداد غفلاً عما يجب ان يكون موسوماً به من الانتساب الى المعارف التي يختص بها الجاحظ لم ينفعه بعد ذلك شيء من المحاسن ؛ ولما رجع الصاحب عن بغداد ساله ابن العميد عنها فقال بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد فجعلها مثلاً في الغاية في الفضل .. وقال ابن زريق الكاتب الكوفي :

سافرت ابغي لبغدادٍ وساكنها
مثلاً قد اخترتُ شيئاً دونه الياس
هيهات بغداد والدنيا بأجمعها
عندي وسكان بغدادٍ هم الناسُ

وقال آخر :

بغداد يا دار الملوك ومُجتنى
صنوف المنى يا مستقر المنابر
ويا جنة الدنيا ويا مجتنى الغنى
ومنبسط الآمال عند المتاجر

.. وقال ابو يعلى محمد بن الهبّارية سمعت الشيخ الزاهد ابا اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز ابادي يقول من دخل بغداد وهو ذو عقل صحيح وطبع معتدل مات بها او بحسرتها ؛ وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

ما مثل بغداد في الدنيا ولا الدين
على تقلبها في كلّ ما حين
ما بين قطربل فالكرخ نرجسة
تندى ومنبت خيري ونسرين
تحيا النفوسُ برياها إذا نفخت
وخرّشت بين اوراق الرّياحين
سقيا لتلك القصور الشاهقات وما
تخفي من البقر الانسية العين
تستنّ دجلة فيما بينها فترى
ذهمَ السفين تعالى كالبراذين
مناظرٌ ذاتُ ابواب مفتحة
انيقة بزخارف وتزيين
فيها القصور التي تهوي بأجنحةٍ
بالزائرين الى القوم المزورين
من كلّ حرّاقةٍ تعلو فقارتها
قصر من الساج عالٍ ذو اساطين

وقدم عبدالملك بن صالح بن علي بن عبدالله ابن عباس الى بغداد فراى كثرة الناس بها فقال ما مررت بطريق من طرق هذه المدينة الا ظننت ان الناس قد نودي فيهم ؛ ووجد على بعض الاميال بطريق مكة مكتوباً :

ايا بغداد يا اسفي عليكِ
متى يقضي الرجوع لنا إليكِ
قنعنا سالمين بكلّ خير
وينعم عيشنا في جانبيكِ

ووجد على حائط بجزيرة قبرص مكتوباً :

فهل نحو بغداد مزارٌ فيلتقي
مشوق ويحظى بالزيارة زائرُ
الى الله اشكو لا إلى الناس إنّه
على كشف ما القي من الهمّ قادرُ

وكان القاضي ابو محمد عبدالوهاب بن علي ابن نصر المالكي قد نبا به المقام ببغداد فرحل الى مصر فخرج البغداديون يودّعونه وجعلوا يتوجعون

لفراقه فقال والله لو وجدت عندكم في كل يوم مدّاً من الباقيلي ما فارقتكم ؛ ثم قال :

سلام على بغـــداد من كل منزل
وحـقّ لهـا مني السلام المضاعف
فوالله ما فارقتهـا عن قلىً لهـــا
واني بشطّي جانبيهـا لعـــارف
ولكنهـــا ضاقت عليّ برحبهـــا
ولـم تكن الارزاق فيهـــا تساعف
وكانت كخـل كنت اهـوى دنـوّه
واخلاقـــه تنـأى بـــه وتخالف

ولما حج الرشيد وبلغ زرود التفت الى ناحية العراق وقال :

اقول وقـد جزنا زرودَ عشيّة
وكادت مطايانا تجوز بنا نجـــدا
على اهـل بغـــداد السلام فانني
ازيد بسيرى عـن ديارهم بعـــدا

وقال ابن مجاهد المقرى رايت ابا عمـرو بن العلاء في النوم فقلت له ما فعل الله بك فقال دعني مما فعل الله بي من اقام ببغـــداد على السـنة والجماعة ومات نقل من جنّة الى جنة وعن يونس ابن عبـد الاعلى قال : قال لي محمد بن ادريس الشافعي رضى الله عنه ابا يونس دخلت بغـــداد فقلت لا فقال ابا يونس ما رايت الدنيا ولا الناس .
وقال طاهر ابن المظفّر بن طاهر الخازن :ـ

سقى الله سوب الغاديات محلّة
ببغداد بين الخلد والكرخ والجسر
هي البلدة الحسناء خصت لاهلهـا
باشياء لم يجمعن مذ كنّ في مصـر
هواء رقيقٌ في اعتدال وصحـــة
وماء لـه طعم الذّ من الخمـــر
ودجلتهـا شطّان قـد نظما لنـــا
بنـــاج الى تـاج وقصر الى قصر
تراها كمسكٍ والمياه كفضّـــةٍ
وحصباؤها مثل اليواقيت والدر

.. قال ابو بكر الخطيب انشدني ابو محمـد الباقي قول الشاعر :

دخلنـــا كارهين لهـا فلمـــا
انفسناها خرجنـــا مكرهينـــا

فقال بوشك هذا ان يكون في بغداد ؛ قيـل وانشد لنفسه في المعنى وضمنه البيت :

على بغـــداد معـــدن كلّ طيب
ومغنى نزهـــة المتنزّهينـــا
ســلام كلمـــا جرحت بلحظ
عيـــون المتيهين المتيهينـــا
دخلنـــا كارهين لهـا فلمـــا
انفناها خرجنـــا مكرهينـــا
وما حب الديـــار بنـــا ولكـــن
امر العيش فرقـــة من هوينـــا

قال محمد بن عليّ بن حبيب الماوردي كتب اليّ اخي من البصرة وانا ببغداد :

طيبُ الهـــواءِ ببغـداد يشوقني
قدماً اليهـــا وان عاقت معـاذير
وكيف صبري عنها بعـد ما جمعت
طيب الهـواءين ممدود ومقصـور

وقلد عبيدالله بن عبدالله بن طاهـر اليمن فلما اراد الخروج ، قال :

ابرحـــل الفٌ ويقيـم إلفُ
وتحيـــا لوعـة ويمـــوت لهفُ
على بغـــداد دار اللهـــو منى
سلام ما سجـــا لنعـــين طرفُ
وما فارقتهـــا لقلىً ولكـــن
الا جـار مـــن الحـــدثان كهف
لعـــل زماننا سيعود يـــوما
فيرجـــع آلفٌ ويـــســـر إلفُ

فبلغ الوزير هـذا الشعر فاعفـــاه ؛ وقال شاعر يتشوق بغداد :

ولمـا تجـاوزتُ المدائن سائـــراً
وايقنت يا بغداد اني على بعـــد
علمتُ بان اللـــه بالـــغ امـــره
وان قضاء الله ينفذ في العبـــد
وقلت وقلبي فيه ما فيه من جوىً
ودمعيَ جار كالجمان على خـدي
ترى الله يا بغداد يجمع بيننـــا
فالفى الذي خلّفتُ فيك على العهد

وقال محمد بن عليّ بن خلف النيرماني :

فدى لك يا بغـــداد كل مدينـــة
مـــن الارض حتى خطتي وديباريا
فقد طفتُ في شرق البـلاد وغربها
وسيّرتُ خيلي بينهـا وركابيـــا
فلم ار فيها مثـل بغـــداد منزلاً
ولم ار فيها مثـــل دجلـــة واديا
ولا مثـــل اهليهـــا ارقّ شمائلا
واعذب الفـــاظاً واحفى معانيـــا
وقائلـــة لو كان ودك صـــادقاً
لبغداد لم ترحـل فقلت جوابيـــا
يقيم الرجال الموســـرون بارضهم
وترمي النـوى بالمقترين المراميـــا

— ٩ —

القزويني : زكريا بن محمد بن محمـــود / ٦٨٢هـ

آثار البلاد واخبار العباد

بيروت دار صادر
١٩٦٠م ص ٣١٣

بَغْـــداد

ام الدنيا وسيدة البلاد وجند الارض ومدينة السلام ، وقبة الاسلام ومجمع الرافدين ، ومعدن الظرائف ومنشا ارباب الغايات ، هواؤها الطف من كلّ هواء ، وماؤها اعذب من كل ماء ، وتربتهـا اطيب من كل تربة ، ونسيمها ارق من كل نسيم ! بناها المنصور ابو جعفر عبدالله بن محمد بن علي ابن عبدالله بن عباس ، ولما اراد المنصور بناء مدينة بمث روّاداً يرتاد موضعا ، قال له : ارى يا امير المؤمنين ان تبنى على شاطىء دجلة ، تجلب إليها الميرة والامتعة من البر والبحر ، وتاتيها المادة من دجلة والفرات ، وتحمـــل اليها ظرائف الهنـــد والصين ، وتاتيها ميرة ارمينية واذربيجان وديـار بكر وربيعة ، لا يحمل الجند الكثير إلاّ مثل هذا الموضع . فاعجب المنصور قوله واخذ المنجمين ، وفيهم نوبخت ، باختيار وقت للبنـــاء فاختاروا طالع القوس الدرجة التي كانت الشمس فيهـا ، فاتفقوا على ان هذا الطالـع ممـــا يدل على كثرة العمارة وطول البقاء ، واجتماع النـــاس فيهـــا وسلامتهم عن الأعداء فاستحسن المنصور ذلك ثم قال نوبخت : وخلة اخـرى يا امير المؤمنين قال : وما هي ؟ قال : لا يتفق بها موت خليفة ! فتبسّم المنصور وقال : الحمد لله على ذلك . وكان كمـا قال ، فإن المنصور مات حاجاً ، والمهـــدي مات بماسبذان ، والهادي بعيـــاباد ، والرشيد بطوس ، والامين اخذ في شبارته ، وقتل بالجانب الشرقي ، والمأمون بطرسوس ، والمعتصم والواثق والمتوكل والمستنصر بسامرا . ثم انتقل الخلفاء الى التـاج وتعطلت مدينة المنصور من الخلفاء ! قال عمارة بن عقيل :

اعايَنتَ في طول من الارض او عرض
كبغداد من دارٍ بها مسكن الخفض ؟
صفا العيشُ في بغداد واخضر عودُه
وعيشُ سواها غيرُ خفضٍ ولا غض
قضى ربّها انْ لا يموتَ خليفـــة
بها ، إنّهُ ما شاءَ في خلقهِ يقضي

ذكر ابو بكر الخطيب ان المنصور بنى مدينة بالجانب الغربي ، ووضع اللبنة الاولى بيـــده ، وجعل داره وجامعها في وسطها ، وبنى فيها قبّة فوق ايوان كان علوها ثمانين ذراعا . والقبّـــة خضراء على راسها تمثال فارس بيده رمح ، فاذا راوا ذلك التمثال استقبل بعض الجهـــات ومدّ رمحه نحوها ، فعلموا ان بعض الخوارج يظهـــر من تلك الجهة ، فلا يطول الوقت حتى يأتي الخبر ان خارجيا ظهر من تلك الجهة . وقد سقط راس هذه القبة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة في يـوم مطير ريح ، وكانت تلك القبّة علم بغـــداد وتاج البلـــد ، ومأثرة بني العبّاس . وكان بجانبهـا الشرقي محلّة تسمى باب الطاق ، كان بها سوق الطير فاعتقدوا ان من تعسّر عليه شيء من الامور فاشترى طيرا من باب الطاق وارسله ، سهل عليه ذلك الامر . وكان عبدالله بن طاهر طال مقامـــه ببغداد ولم يحصل له اذن الخليفة ، فاجتاز يوما بباب الطاق فراى قمرية تنوح ، فامر بشرائهـــا واطلاقها ، فامتنع صاحبها ان يبيعها إلا بخمســمائة درهم ، فاشتراها واطلقها وانشا يقول :

ناحتْ مطوقـــةٌ بباب الطاقِ
فجرت ســـوابقُ دمعي المهراقِ
كانت تغـــرد بالاراك وربمـــا
كانت تغـــردُ في فروع الســـاقِ
فرمتْ الفراقُ بها العراقَ فاصبحت
بعد الاراك تنـوح في الأســـواقِ

فجمعتْ بافتراقٍ فاسبل دمعتها
إنّ الدموع تبوحُ بالمشتاقِ
تعس الفراقُ وتب حبلُ وتينه
وسقاهُ من سمّ الاساودِ ساقي
ماذا اراد بقعدهِ قمريةٌ
لم تدر ما بغدادُ في الآفاقِ
بي مثلُ ما بكِ يا حمامةُ فاسألي
من فك اسرك ان يحلّ وثاقي

هذه صفة المدينة الغربية؛ والآن لم يبقَ منها اثر . وبغداد عبارة عن المدينة الشرقية كان اصلها قصر جعفر بن يحيى البرمكي ، والآن هي مدينة عظيمة كثيرة الاهل والخيرات والثمرات ، تجبى إليها لطائف الدنيا وظرائف العالم إذ ما من متاع ثمين ولا عرض نفيس إلاّ ويحمل اليها ، فهي مجمع لطيبات الدنيا ومحاسنها ، ومعدن لأرباب الغايات واحاد الدهر في كل علم وصنعة . وبها حريم الخلافة ، وعليه سور ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه الى دجلة كشبه الهلال ، وله أبواب : باب سوق الثمر باب شاهق البناء عالٍ ، اغلق من اول ايام الناصر واستمر إغلاقه . ذكر ان المسترشد خرج منه فاصابه ما اصابه فتطيروا به واغلقوه . وباب النوبي وعنده العتبة التي يقبلها الملوك والرسل إذا قدموا بغداد . وباب العامة وعليه باب عظيم من الحديد نقله المعتصم من عمورية لم يرَ مصراعان اكبر منهما من الحديد ، ومن عجائبها دار الشجرة من ابنية المقتدر بالله ، دار فيحاء ذات بساتين مؤنقة ، وإنما سميت بذلك لشجرة كانت هناك من الذهب والفضة في وسط بركة كبيرة امام ابوابها ، ولها من الذهب والفضة ثمانية عشر غصنا ، ولكلّ غصن فروع كثيرة مكللة بانواع الجواهر على شكل الثمار . وعلى اغصانها انواع الطير من الذهب والفضة ، إذا هبّ الهواء سمعت منها الهدير والصفير وفي جانب الدار عن يمين البركة تمثال خمسة عشر فارساً ، ومثله عن يسار البركة قد البسوا انواع الحديد المدبّج مقلدين بالسيوف ، وفي ايديهم المطارد يحركون على خطّ واحد ، فيظن ان كل واحد قاصد الى صاحبه . ومن مفاخرها المدرسة التي انشأها المستنصر بالله . لم يبن مثلها قبلها في حسن عمارتها ورفعة بنائها ، وطيب موضعها على شاطىء دجلة واحد جوانبها في الماء . لم يعرف موضع اكثر منها اوقافا ولا ارفه منها سكانا . وعلى باب المدرسة ايوان ركب في صدره صندوق الساعات على وضع عجيب ، يعرف منه اوقات الصلوات وانقضاء اساعات الزمانية نهاراً وليلاً ؛ قال ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي :

يا ايّها المنصورُ يا مالكا
برايه صعب اللّيالي يهونْ !
شيدتَ للّهِ ورضوانِه
اشرفَ بنيانٍ يروقُ العيونْ
إيوانُ حسنٍ وصفُه مدهشٌ
يحارُ في منظرهِ الناظرونْ !
تهدي إلى الطاعاتِ ساعاتُه
الناس وبالنجم هم يهتدونْ
صوّرَ فيه فلكٌ دائرٌ
والشمسُ تجري مالها من سكونْ
دائرةٌ من لازوردٍ حلتْ
نقطةُ تبرٍ فيه سرٌ مصونْ
فتلكَ في الشكلِ وهذا معاً
كميثلِ هاءٍ ركبت وسط نونْ
فهيَ لإحياءِ العلى والندى
دائرةٌ مركزها العالمونْ

واما أولو الفضل من العلماء والزهّاد والعبّاد والادباء والشعراء والصناع فلا يعلم عددهم إلا الله . ولنذكر بعض مشاهيرنا إن شاء الله . ينسب إليها القاضي ابو يوسف . ذكر انه كان رآه رجل يهودي وقت الظهيرة يمشي راكبا على بغلة ، واليهودي يمشي راجلاً جائعاً ضعيفاً ؛ فقال للقاضي : أليس نبيكم يقول الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ؟ قال : نعم . قال : فانت في السجن وانا في الجنة والحالة هذه ! فقال القاضي : نعم يا عدوّ الله ، بالنسبة إلى ما اعدّ الله لي من الكرامة في الآخرة في السجن ، وانت بالنسبة الى ما أعدّ الله لك في الآخرة من العذاب في الجنة ! وحكي ان الهادي الخليفة اشترى جارية فاستفتى فقال الفقهاء: لابدّ من الاستبراء او الاعتاق والتزويج. فقال القاضي ابو يوسف : زوجها من بعض اصحابك وهو يطلقها قبل الدخول وحلت لك . وحكي ان الرشيد قال لزبيدة : انت طالق ثلاثا إن بتّ الليلة في مملكتي ! فاستفتوا في ذلك فقال ابو يوسف : تبيت في بعض المساجد فإن المساجد لله ! فولاه القضاء بجميع مملكته . وحكي ان زبيدة قالت للرشيد : انت من اهل النار . فقال لها : إن كنت من اهل النار فانت طالق ثلاثا ! فسألوا عنه فقال :

هل يخاف مقام ربّه ؟ قالوا : نعم . قال : فلا يقع الطلاق لان الله تعالى يقول : ولمن خاف مقام ربّه جنتان . وينسب اليها القاضي يحيى بن اكثم . كان فاضلاً غزير العلم ذكي الطبع ، لطيفاً حسن الصورة حلو الكلام ، كان المأمون يرى انه لا يفارقه ، ويضرب به المثل في الذكاء . ولي القضاء وهو ابن سبع عشرة سنة فقال بعض الحاضرين في مجلس الخليفة : اصلح الله القاضي ! كم يكون سنّ عمره ؟ فعلم يحيى انه قصد بذلك استحقاره لقلّة سنه ، فقال : سنّ عمري مثل سن عمر بن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله ، عليه السلام، قضاء مكة ! فتعجب الحاضرون من جوابه . وحكي انه كان ناظر الوقوف ببغداد فوقف العميان له وقالوا : يا ابا سعيد اعطنا حقنا ! فأمر بحبسهم فقيل له : لم حبست العميان وقد طلبوا حقهم ؟ فقال : هؤلاء يستحقون ابلغ من ذلك ، إنهم شبهوني بأبي سعيد الموطي من مدينة كذا ! وكان هذا قصدهم فما فات القاضي ذلك . وحكي انه اجتاز بجمع من مماليك الخليفة صبياناً حساناً فقال لهم : لولا انتم لكنتا مؤمنين . فعرف المأمون ذلك فأمر ان يذهب كلّ يوم الى باب داره اربعمائة مملوك حسن الصورة ، حتى إذا ركب يمشون في خدمته الى دار الخلافة ركاباً . وينسب إليها ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل ــ كان اصله من مرو وجيء به حملاً الى بغداد فنشأ بها ــ فلما كان ايام المعتصم وقع في محنة المعتزلة ، جمع المعتصم بينه وبين المعتزلة وكبيرهم القاضي ابو داود . قالوا : ان القرآن مخلوق . قال لهم احمد : ما الدليل على ذلك ؟ قالوا : قوله تعالى : وما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث . فقال لهم احمد : المراد من الذكر ههنا الذكر عند قوله تعالى : ص والقرآن ذي الذكر . فالذكر مضاف الى القرآن فيكون غير القرآن ، وههنا مطلق وفي ص مقيد ، فيجب حمل المطلق على المقيد . فانقطعت حجّتهم، فقال المعتصم لابي داود : ما تقول في هذا ؟ فقال القاضي: هذا ضالّ مضلّ يجب تأديبه ! وعن ميمون بن الاصبغ قال : كنت حاضراً عند محنة احمد ، فلمّا ضرب سوطاً قال : بسم الله ، فلمّا ضرب الثاني قال : لا حول ولا قوّة إلا بالله ، فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فلما ضرب الرابع قال : لا يصيبنا الا ما كتب الله لنا !

وعن محمد بن اسماعيل قال : سمعت شاباً يقول ضربت لاحمد ثمانين سوطاً لو ضربت فيلاً لهدته فجرى دمه تحت الخشب . ثم أمر بحبسه فانتشر ذكر ذلك واستقبح من الخليفة . وورد كتاب المأمون من طرسوس يأمر باشخاص احمد فدعا المعتصم عند ذلك احمد وقال للناس اتعرفون هذا الرجل قالوا نعم هو احمد بن حنبل قال انظروا اليه ما به كسر ولا هشم وسلّمه اليهم . وحكى صالح بن احمد قال دخلت على ابي وبين يديه كتاب كتب اليه بلغني ابا عبدالله ما انت فيه من الضيق وما عليك من الدين وقد بعثت اليك اربعة آلاف درهم على يد فلان لا من زكاة ولا من صدقة وانما هي من إرث ابي . فقال احمد قل لصاحب هذا الكتاب اما الدين فصاحبه لا يرهقنا ونحن نعافيه والعيال في نعمة من الله قال فذهبت الى الرجل وقلت له ما قال ابي والله يعلم ما نحن فيه من الضيق فلما مضت سنة قال لو قبلناها لذهبت .

وحكى احمد بن حرار قال كانت امي زمنة عشرين سنة فقالت لي يوما : اذهب الى احمد بن حنبل وسله ان يدعو الله لي . فذهبت ودققت الباب فقالوا من ؟ قلت : رجل من ذاك الجانب ، وسألتني امي الزمنة ان اسالك ان تدعو الله لها . فسمعت قائلاً يقول : نحن احوج إلى من يدعو الله لنا ! فوليت منصرفاً فخرجت عجوز من داره قالت : انت الذي كلمت ابا عبدالله ؟ قلت : نعم . قالت : تركته يدعو الله لها فجئت الى بيتي ودققت الباب ، فخرجت امّي على رجليها تمشي وقالت : قد وهب الله لي العافية . وذكروا ان احمد بن حنبل جعله المعتصم في حل يوم قتل بابك الخرمي او يوم فتح عمورية . وتوفي احمد سنة إحدى واربعين ومائتين عن تسع وسبعين سنة . وحكى ابو بكر المروزي قال : رأيت احمد بن حنبل بعد موته في المنام في روضة ، وعليه حلّتان خضراوان وعلى راسه تاج من نور ، وهو يمشي مشياً لم اكن اعرفه . فقلت : يا احمد ما هذه المشية ؟ قال : هذه مشية الخدام في دار السلام ! فقلت : ما هذا التاج الذي اراه فوق راسك ؟ فقال : ان ربّي اوقفني وحاسبني حساباً يسيراً ، وحباني وقربني واباحني النظر وتوجني بهذا التاج ، وقال لي : يا احمد هذا تاج الوقار توجتك به كما قلت القرآن كلامي غير مخلوق . وينسب اليها ابو علي الحسين ابن صالح بن خيران. كان عالما شافعي المذهب جامعا بين العلم والعمل والورع . طلبه علي بن عيسى وزير المقتدر لتوليته القضاء فأبى وهرب فختم بابه بضعة عشر يوماً ، قال ابو عبدالله بن الحسن العسكري : كنت صغيراً وعبرت مع أبي على باب ابي علي بن خيران ، وقد وكل به الوزير علي بن عيسى .

وشاهدت الموكلين على بابه فقال لي ابي : يا بني ابصر هذا حتى تتحدث ان عشت ان انساناً فعل به هذا فامتنع عن القضاء . ثم ان الوزير عفا عنه وقال : واردنا بالشيخ ابي علي إلا خيراً ، واردنا ان نعلم الناس ان في ملكنا رجلاً يعرض عليه قضاء الشرق والغرب وهو لا يقبل . توفي ابن خيران في حدود عشرين وثلاثمائة . وينسب اليها ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي . كان عالماً بعلم التفسير والحديث والفقه والادب والوعظ ، وله تصانيف كثيرة في فنون العلوم .

توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

وينسب إليها الوزير علي بن عيسى وزير المقتدر ووزير ابنه المطيع ، ركب يوم الموسم كما كان الوزراء يركبون في موكب عظيم ، فرآه جمع من الغرباء قالوا من هذا ؟ وكانت امراة عجوز تمشي على الطريق قالت : كم تقولون مَن هذا ، هذا واحدٌ سقط من عين الله تعالى فابتلاه الله بهذا كما ترونه ، فسمع هذا القول علي بن عيسى فرجع الى بيته واستعفى من الوزارة ، وجاور مكة الى ان مات . وينسب إليها ابو نصر بشر بن الحارث الحافي ذكر ايوب العطار انه قال له بشر : الا احدّثك عن بدو امري ؟ بينا انا امشي إذ رايت قرطاساً على وجه الارض عليه اسم الله تعالى فاخذته وكنت لا املك الاّ درهماً واحداً اشتريت به المآورد والمسك ، غسلت القرطاس بالمآورد وطيبته بالمسك ثم رجعت الى منزلي ونمتُ ، فاتاني آتٍ يقول : طيبتَ اسمي لاطيبن ذكرك وطهرتَه لاطهرن قلبك !

وحكي ان بشراً الحافي دُعي الى دعوة ، فلما وضع الطعام بين يديه اراد ان يَمدّ يده إليه فما امتدت حتى فعل ذلك ثلاث مرات فقال بعض الحاضرين الذي كان يعرف بشراً : ما كان لصاحب الدعوة حاجة الى إحضار من اظهر ان طعامه ذو شبهة .

وحكي ان احمد بن حنبل سُئل عن مسالة في الورع فقال : لا يحلّ لي ان اتكلم في الورع وانا آكل من غلّة بغداد ! لو كان بشر بن الحارث حاضراً لاجابك فإنه لا يأكل من غلّة بغداد ولا من طعام السّواد ! توفي سنة تسع وعشرين ومائتين من خمس وسبعين سنة .

وحكي الحسن بن مروان قال : رايت بشراً الحافي في المنام بعد موته فقلت له : ابا نصر ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ولكلّ من تبع جنازتي ، وكانت جنازته قد رفعت اول النهار فما وصل الى القبر الاّ وقت العشاء لكثرة الخلق . وقال لي خزيمة رايت احمد بن حنبل في المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي وتوّجني والبسني نعلين من ذهب ! قلت فما فعل الله ببشر ؟ قال : بخ بخ ! من مثل بشر تركته بين يدي الخليل وبين يديه مائدة الطعام والخليل مقبل عليه ، وهو يقول له : كل يا من لم ياكل واشرب يا من لم يشرب ، وانعم يا من لم ينعم ! وقال غيره : رايت بشراً الحافي في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وقال يا بشر اما استحييت منّي وكنت تخافني كلّ ذلك الخوف ؟ ورآه غيره فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قال لي يا بشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على وجه الارض احبّ إليّ منك !

وينسب إليها ابو عبدالله الحرث بن اسد المحاسبي . كان عديم النظير في زمانه علماً وورعاً وحالاً كان يقول : ثلاثة اشياء عزيزة : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الخلق مع الديانة ، وحسن الاجابة مع الامانة ، مات ابوه اسد المحاسبي وخلّف من المال الوفاً ما اخذ الحارث منه حبّة ، وكان محتاجاً الى دانق ، وذلك لان اباه كان رافضياً فقال الحرث : اهل ملتين لا يتوارثان !

وحكي الجنيد : إن المحاسبي اجتاز بي يوماً فرايت اثر الجوع في وجهه ، فقلت : يا عم لو دخلت علينا ساعة ! فدخل فعمدتُ الى بيت عمّي ، وكان عندهم اطعمةٌ فاخرة فجئت بانواع من الطعام ووضعته بين يديه فمدّ يده واخذ لقمة رفعها الى فيه يلوكها ولا يزدردها ، ثم قام سريعاً ورمى اللّقمة في الدهليز وخرج ما كلمني فلما كان الغد قلت : يا عم سررتني ثم نغصت عليّ ! فقال يا بنيّ اما الفاقة فكانت شديدة وقد اجتهدت ان انال من الطعام الذي جعلته بين يديّ ، ونكن بيني وبين الله علامة وهي ان الطعام إذا لم يكن مرضياً يرتفع منه الى انفي زفرٌ لا تقبله نفسي ! توفي سنة ثلاث واربعين ومائتين . وينسب إليها ابو الحسن السري ابن المفلّس السقطي ، خال ابي القاسم الجنيد واستاذه وتلميذ معروف الكرخي . دعا له استاذه معروف وقال له : اغنى الله قلبك! فوضع الله تعالى فيه الزهد . وقيل إن امراة اجتازت بالسري ومعها ظرف فيه شيءٌ فسقط من يدها وانكسر . فاخذ السري شيئاً من دكانه واعطاها بدل ما ضاع عليها فراى معروف ذلك فاعجبه وقال له ابغض الله إليك الدنيا ؛ فتركها وتزهد كما دعا له .

وحكي ان امراة جاءت الى السري وقالت يا ابا الحسن انا من جيرانك وان ابني اخذه الطائف واني اخشى ان يؤذيه فإن رايت ان تجيء معي او تبعث إليه احدا فقام يصلي وطوّل صلاته فقالت المراة ابا الحسن ، الله الله ، في ولدي ! إني اخشى ان يؤذيه السلطان فسلّم وقال لها : انا في حاجتك فما برحت حتى جاءت امراة وقالت لها : تلك البشرى فقد خلّوا عن ابنك . حكي الجنيد قال : دخلت على السّري فاذا هو قاعد يبكي وبين يديه كوز مكسور ، قلت : ما سبب البكاء ؟ قال : كنت صائماً فجاءت ابنتي بكوز ماء فعلّقته حتى يبرد فأفطر عليه ، فاخذتني عيني فنمت فرايت جارية دخلت عليّ من هذا الباب في غاية الحسن ، فقلت لها لمن انت ؟ قالت : لمن لا يبرّد الماء في الكيزان الخضر وضربت بكمها الكوز ومرّت وهو هذا . قال الجنيد فمكثت اختلف إليه مدة طويلة ارى الكوز المكسور بين يديه ، وحكي ان السري كلّ ليلة إذا افطر ترك لقمة ، فإذا اصبح جاءت عصفورة واكلت تلك اللقمة من يده ، فجاءت العصفورة في بعض الايام ووقعت على شيء من جدار حجرته ثم طارت وما اكلت اللقمة فحزن الشيخ لذلك وقال بذنب مني نفرت العصفورة حتى تذكر انه اشتهى الخبز بالقديد فاكل ، فعلم ان انقطاع العصفورة بسبب ذلك ، فعهد ان لا يتناول ابداً شيئاً من الآدام فعادت العصفورة .

وحكي انه اشترى كرّ لوز بستين دينارا وكتب في دستوره ثلاثة دنانير ربحه فارتفع الربح وصار اللوز بتسعين ديناراً فاتاه الدلال واخبره انه بتسعين ديناراً فقال إني عقدت عقداً بيني وبين الله تعالى اني ابيعه بثلاثة وستين لاجله لست ابيعه باكثر من ذلك فقال الدلال واني عقدت عقداً بيني وبين الله تعالى اني لا افشي سرّاً . توفي السري سنة احدى وخمسين ومائتين . وينسب ابو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد اصله من نهاوند ومولده بغداد ، كان ابوه زجاجا وكان هو خزازاً ، صحب الحرث المحاسبي وخاله السّري السقطي وكان الجنيد يفتي على مذهب سفيان الثوري كان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين الف تسبيحة ، وعن جعفر الخلدي ان الجنيد عشرين سنة ما كان ياكل في كل اسبوع الا مرة . حكى ابو عمرو الزجاجي قال اردت الحج فدخلت على الجنيد فاعطاني درهماً شددته في مئزري ، فلم انزل منزلاً الا وجدت رزقا فما احتجت إلى إخراج الدرهم فلما عدت الى بغداد ودخلت عليه مدّ يده واخذ الدرهم .

وحكى بعض الهاربين عن ظالم قال : رايت الجنيد واقفا على باب رباطه فقلت : يا شيخ اجرني اجارك الله ! فقال : ادخل الرباط . فدخلت فما كان الا يسيراً حتى وصل الطالب بسيف مسلول ، فقال للشيخ اين مشى هذا الهارب فقال الشيخ : دخل الرباط ، فمرّ على وجهه ، وقال تريد ان تفوّته عليّ ! قال الهارب : قلت للشيخ كيف دللته علي ، أليس لو دخل الرباط قتلني ؟ فقال الشيخ : وهل نجوت الا بقولي دخل الرباط ؟ فما زال منا الصدق ومنه اللطف .

وحكي ان رجلاً اتى الجنيد بخمسمائة دينار، وكان هو جالساً بين اصحابه ، وقال له خذ هذا ، وانفق على اصحابك فقال له : هل لك غيرها ، قال نعم لي دنانير كثيرة قال : فهل تريد غيرها ؟ قال نعم ، قال خذها إليك فانت احوج إليها منّا .

قال ابو محمد الجزري : لما كان مرض موته كنت على راسه وهو يقرأ ويسجد ، فقلت : ابا قاسم ارفق بنفسك . فقال : يا ابا محمد هوذا صحيفتي تطوى ، وانا احوج ما كنت الساعة ! ولم يزل باكياً وساجداً حتى فارق الدنيا سنة ثمان وستين ومائتين .

وقال جعفر الخلدي : رايت الجنيد بعد موته في المنام قلت : ما فعل الله بك يا ابا قاسم ؟ فقال : طاحت تلك الاشارات وغابت تلك العبارات ، ونفدت تلك العلوم وامّحت تلك الرسوم ، وما بقينا الا على الركيعات التي كنّا نصلّيها في جوف الليل .

وينسب اليها ابو الحسن علي بن محمّد المزيّن الصغير . كان من المشايخ الكبار صاحب الحالات والكرامات . حكى ابو عبدالله بن خفيف قال : سمعت ابا الحسن بمكة يقول : كنت في بادية تبوك فقدمت الى بئر لاستقي منها ، فزلقت رجلي، فوقعت في قعر البئر فرايت في البئر زاوية ، فاصلحت موضعا وجلست عليه لئلا يفسد الماء ما عليّ من اللباس ، وطابت نفسي وسكن قلبي ، فبينما انا قاعد اذا انا بشخشخة فتأمّلت فاذا حيّة عظيمة تنزل عليّ ، فراجعت نفسي فاذا نفسي ساكنة ، فنزلت ولفت ذنبها عليّ وانا هادىء السر لا اضطرب شيئاً ، واخرجتني من البئر وحلّت عني ذنبها ، فلا ادري الارض ابتلعتها ام السماء رفعتها؟ فقمت ومشيت الى حاجتي .

وحكى جعفر الخلدي : عزمت على السفر فودّعت ابا الحسن المزيّن وقلت زوّدني شيئا . فقال : ان ضاع شيء واردت وجدانه او اردت ان يجمع الله بينك وبين انسان فقل : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد . ردّ اليّ ضالتي او اجمع بيني وبين فلان . قال : فما دعوت في شيء الا استجبت . توفي بمكّة مجاورا سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

وينسب اليها محمّد بن اسماعيل ، ويعرف بخير النساج ؛ كان من اقران الثوري عاش مائة وعشرين سنة . كان اسود عزم الحجّ . اخذه رجل على باب الحرم وقال : انت عبدي واسمك خير ! فمكث على ذلك مدّة يستعمله في نسج الخزّ ثمّ عرف انه ليس عبده ولا اسمه خير ، قال له : انت في حلّ من جميع ما عملت لك . وفارقه .

وحكى ان رجلا جاءه وقال له : يا شيخ امس قد بعتّ الغزل وشددت ثمنه في مئزرك ؛ وانا جئت خلفك وحللته فقبّضت يدي ! فضحك الشيخ واومى الى يده فحلّت وقال : اصرف هذه الدراهم في شيء من حاجتك ولا تعد الى مثلها . ورئي في المنام بعد موته ، قيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : لا تسالني عن هذا ، استرحت من دنياكم الوضرة !

وينسب اليها ابو محمّد رُوَيْم بن احمد البغدادي . كان من كبار المشايخ وكان عالما بعلم القراءة والفقه على مذهب داود ؛ وكان يقول : من حكمة الحكيم الشريعة على اخوانه والتضييق على نفسه ، لان حكم الشريعة اتّباع العلم وحكم الورع التضييق على نفسه .

حكي انه اجتاز وقت الظهيرة بدرب في بغداد وكان عطشان ، فاستسقى من بيت فخرجت جارية بكوز ماء فاخذ منها وشرب ؛ فقالت الجارية : صوفي يشرب بالنهار ! فما افطر بعد ذلك . توفي سنة ثلاث وثلاثمائة .

وينسب اليها ابو سعيد احمد بن عيسى الخرّاز . كان من المشايخ الكبار . صحب ذا النون المصري والسريّ السقطي وبشرا الحافي ، وكان ابو سعيد يمشي بالتوكل .

حكي عن نفسه قال : دخلت البادية مرّة بغير زاد فاصابني فاقة ، فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت الى العمارة ثم فكرت في نفسي اني سلوت ، واتكلت على غيري فآليت الا ادخل المرحلة الا اذا حملت اليها ، فحفرت لنفسي في الرمل حفرة ووارَيت جسدي فيها الى صدري ، فلما كان نصف الليل سمعوا صوتا عاليا : يا اهل المرحلة ان لله وليا في هذه المرحلة فالحقوه فجاءت جماعة واخرجوني وحملوني الى القرية .

وينسب اليها الاستاذ علي بن هلال الخطاط، ويعرف بابن البواب . كان عديم النظير في صنعته؛ لم يوجد مثله لا قبله ولا بعده ؛ فان الكتابة العربية كانت بالطريقة الكوفيّة ثمّ ان الوزير ابا الحسن ابن مقلة نقلها الى طريقته ، وطريقته ايضا حسنة، ثمّ ان ابن البوّاب نقل طريقة ابن مقلة الى طريقته التي عجز عنها جميع الكتاب من حسنها وحلاوتها وقوّتها وصفاتها ، ولا يعرف لطافة ما فيها الا كبار الكتّاب ؛ فانه لو كتب حرفا واحدا مائة مرة لا يخالف شيء منها لانّها قلبت في قالب واحد ، والناس كلّهم بعده على طريقته . توفي سنة ثلاث وعشرين واربعمائة .

وينسب اليها ابو نواس الحسن بن هانيء كان اديبا فصيحا بليغا شاعرا اوحد زمانه . حكى ان الرشيد قرا يوما : ونادى فرعون في قومه قال : يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ؟ فقال : اطلبوا لي شخصا انذل ما يكون حتى اوليه مصر . فطلبوا شخصا مخبّلا كما اراد الخليفة ؛ فولاه مصر وكان اسمه خصيبا . فلما ولّي احسن السيرة وباشر الكرم وانتشر ذكره في البلاد حتى قيل :

إذا لمْ تَزُرْ ارْضَ الخَصيبِ رِكابُنا
فايْنَ انَتا ارضٌ سِواهُ نَزُورُ
فَتىً يَشْتَري حُسْنَ الثناءِ بمالِهِ
وَيَعْلَمُ انَّ الدائِراتِ تَدُورُ

فقصده شعراء العراق وابو نواس معهم وهو صبي ؛ فلمّا دنوا من مصر قالوا ذات يوم : نحن من ارض العراق وندخل مصر فلا ياخذن علينا المصربون خطأ او عيبا ! ليعرض كلّ واحد منّا شعره حتى نعتبره ، فإن كان شيء منها محتاجا الى اصلاح اصلحناه . فاظهر كلّ واحد ما معه على القوم فقالوا لابي نواس : هات ما عندك . فقال عندي هذا :

واللّيلُ لَيلٌ والنّهارُ نهارُ
والبَغْلُ بَغْلٌ والحِمارُ حِمارُ
والدّيكُ ديكٌ والدجاجَةُ زَوْجُه
والبَطُّ بطٌّ والهَزارُ هَزارُ

فضحكوا وقالوا : هـذا ايضاً له وجـه للمضاحك ! فلمّا دخلوا على الخصيب وضعـوا كرسيّا كلّ واحد من الشعراء يقف عليه ويورد شعره حتى اوردوا جميعهم . بقي ابو نواس فقال بعض الشعراء : ارفعوا الكرسي ، ما بقي احـد ! فقال ابو نواس : اصبروا حتى اورد بيتا واحـداً ثم بعد ذلك ان اردتم فارفعوا ، فانشا يقول :

انْتَ الخَصِيبُ وهذه مِيضَـرُ
فَتَشَابَهَا فَكِلاهُما بَحْرُ !

فتحير الشعراء وانشـد قصيدة خيراً من قصائدهم كلّها .

وحكي ان محمّداً الامين امر بحبسه وامـر ان لا يترك عنده كاغـد ودواة ، فحبس في دار ، فدخل عليه خادم من خدام الخليفة ونام عنـده وعليه جبّة سوداء ، فاخذ قطعة جصّ من الحائط وكتب على جبّة الخادم :

ما قَـدْرُ عَبْدِكَ يـا نُوَاسِ
وهـو لَيسَ بِذي لِبَـاسِ
ولَغَيْـرُهُ اوْلَـى بِهَـا
إنْ كُنتَ تَعْمَـلُ بالقِيَـاسِ
ولَئِنْ قَتَلْتَ ابـا نُوَاسِكَ
قِيـلَ مَـن هُـو يا نُوَاس

فقراوا وفرّجوا عنه .

وذكر انّه رئي في المنام بعد موته فقيل لـه : ما فعل الله بك ؟ قال : قد غفر لي بابيات قلتُها وهي تحت وسادتي ، فوجدوا تحت وسادته رقعة فيها مكتوب :

يا رَبِّ ان عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأنّ عَفْوَكَ اعظمُ
انْ كَانَ لا يَرْجُوكَ الا المُحْسِنُ
فمن الذي يَرْجُوهُ عَبْدٌ مُجْرِمُ
ادْعُوكَ يا رَبِّي لِكَيْ تَغْفِرَ لِي
فاذا رَدَدْتَ يدي فَمَنْ ذا يَرْحَمُ
مَالي إلَيْكَ وَسِيلَةٌ غير الرّجَا
وكَرَيمُ عَفْـوِكَ ثُمّ اني مُسْلِمُ

جرجرايا : قرية من اعمال بغـداد مشهورة ينسب اليهـا على الجرجـرائي كـان مـن الابدال لا يدخل العمران ولا يختلط باحد ، حكى بشر الحافي قال لقيته على عين ماء ، فلما ابصرني عدا ، قال بذنب مني رايت اليوم انسياً فعدوت خلفه ، وقلت اوصني فالتفت اليّ ، وقال عانـق الفقر وعاشر الصبر ، وخالف الشهوة واجعل بينك اخلى من لحدك يوم تنقل اليه على هذا طاب المصير الى الله تعالى .

الطاهرية : قريـة من قرى بغـداد بهـا مستنقع يجتمع فيه في كل سنة ماء كثير عند زيادة دجلة فيظهر فيه السمك المعروف بالبني فيضمنه السلطان بمال وافر ولسمكه فضـل على سائـر السمك لطيب لحمه ، وانه غلّة من حاصل هـذه القرية مع سائر غلاتها ، والله الموفق .

كرخ

قرية فوق بغداد على ميل منها . وبها دكاكين الكاغد والثياب الابريسمية .

ينسب اليها ابو محفوظ معـروف بن فيروز الكرخي وكان من المشايخ الكبار مستجاب الدعـوة من موالي علي بن موسى الرضا ، كان استاذ السري السقطي ؛ فقال له يوماً إذا كان لك الى الله حاجة فاقسم عليه بي واهل بغداد يقولون قبر معروف ترياق مجرب . حكي انزبيدة بنت جعفر عبرت على معروف مع مواليها وخدمها ، فدعا عليهـا بعض الحاضرين فقال له معروف : يا رجل كن عـون رسول الرحمن ولا تكن عون رسول الشيطان إن رسول الرحمن يريد نجاة الخلق كلهم قال الله تعالى: وما ارسلناك الا رحمة للعالمين . ورسول الشيطان يريد هلاك الخلق كلّهم قال الله تعـالى مخبراً عنه . بعزتك لاغوينهم اجمعين ، إن الذي اعطاهم الدنيا على هواهم قادر ان يعطيهم الآخـرة على مناهم .

وحكى ابراهيم الاطروش انه قال لمعروف : ابا محفوظ بلغني انّك تمشي على المـاء فقال ما مشيت على الماء ولكن إذا هممت بالعبور يجمـع لي طرفها ، وحكى خليل الصيّاد قال : غاب ابني الى الانبار فوجدت امه وجداً شديداً فذكرت ذلك لمعروف فقال : ما تريد ؟ قلت ان تدعو الله ليرده علينا فقال اللّهم إن السّماء سماؤك والارض ارضك وما بينهما لك فات به !

قال خليل : اتيت باب الشام فإذا ابني قائم منبهر يقول : الساعة كنت بالانبار .

وحكى محمد بن صبيح انه مرّ بمعروف رجل سقاء ينادي رحم الله من شرب ! فشرب منه وكان صائما وقال : لعلّ الله ان يستجيب منه .

وحكى عبدالله بن سعيد الانصاري انه راى معروفاً في النوم واقفاً تحت العرش فيقول الله لملائكته : من هذا ؟ فقالت الملائكة : انت اعلم يا ربنا ، هذا معروف الكرخي قد سكر من حبك لا يفيق الاّ بلقائك !

وحكى احمد بن ابي الفتح قال : رايت بشراً الحافي في المنام قاعداً في بستان وبين يديه مائدة ياكل منها ، فقلت : ابا نصر ما فعل الله بك ؟ فقال: رحمني وغفر لي واباحني الجنة باسرها وقال : كل من ثمرها ، واشرب من انهارها وتمتع بجميع ما فيها لما كنت تحرم نفسك شهوات الدنيا ! قلت اين احمد بن حنبل ؟ قال : قائم على باب الجنة يشفع لاهل السنة ممن يقول القرآن كلام الله غير مخلوق ! قلت : وما فعل معروف الكرخي ؟ فحرك راسه وقال هيهات ! حالت بيننا وبينه الحجب إن معروفاً ما كان يعبد الله شوقاً الى جنته ولا خوفا من ناره ، وانما عبده شوقاً إليه ، فرفعه الله الى الرفيع الاعلى ووقعت الحجب بيننا وبينه ، ذاك الترياق المقدس المجرّب ، فمن كانت له الى الله حاجة فليات قبره وليدعُ فإنه يستجاب له . وحكي انه قال : إذا مت تصدّقوا بقميصي فإني احب ان اخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها ، توفي سنة إحدى ومائتين .

- ١٠ -

الحميري : محمد بن عبدالمنعم ت/٧٢٧هـ

الروض المعطار في خبر الاقطار

بغداد : دار مملكة خلفاء بني العباس وفيها اربع لغات ، بغداد بدالين مهملتين وبغداذ معجمة الاخيرة وبغدان بالنون ، ومغدان بالميم بدلاً من الباء ، وتذكّر وتؤنث . قالوا : وبغداذ بالفارسية عطية الصنم لان بغ صنم ، وداذ عطية ، ولذلك كره الاصمعي هذه التسمية . وكانت قرية من قرى الفرس فاخذها ابو جعفر غصبا فبنى فيها مدينة وقال الجرجاني باغ بالفارسية هو البستان الكثير الشجر ، وداذ معطي . فمعناه معطي البساتين ؛ قال ابو عثمان النهدي : كنا نسير مع جرير بن عبدالله البجلي حتى انتهى الى موضع فقال : ايّ موضع هذا ؟ قالوا : قطربل ، فحرك دابته ثم قال : سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلم يقول : تبنى مدينة بين دجلة والدّجيل والعشراة وقطربل يجبى إليها خراج كلّ ارض وتجمع إليها جبابرة الارض ، وفي رواية يخسف بها كذا احسب . وسميت بغداد لانه اهدي الى كسرى خصي من المشرق ، وكان له صنم يقال له بغ، فقال الخصي : بغداذي اي اعطاني إلهي يعني الصنم، ولهذا كان المتورّعون يكرهون ان يسموا بغداذ بهذا الاسم ويقولون بغداد بالدال المهملة .

وكان ابو جعفر المنصور بعث رجالاً سنة خمس واربعين ومائة يطلبون له موضعاً يبني فيه مدينة فطلبوا فلم يرضوا موضعا حتى جاء موضعاً بالصراة وقال : هذا موضع ارضاه تاتيه الميرة من الفرات ودجلة والصراة ، وكان ابو جعفر هذا وهو عبدالله ابن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، بنى مدينة بين الكوفة والجزيرة سماها الهاشمية ، فاقام بها مدة الى ان عزم على توجيه ابنه محمد المهدي لغزو الصائفة في سنة اربعين ومائة فصار الى بغداد فوقف بها وقال : ما اسم هذا الموضع ؟ فقيل : بغداد ، فقال : هذه والله المدينة التي اعلمني ابي محمد بن علي اني ابنيها وانزلها وينزلها ولدي من بعدي ، ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والاسلام حتى يتم تدبير الله تعالى وحكمه فيّ وتصح الروايات وتبين الدلالات والعلامات تاتيها الميرة في الدّجلة والفرات من واسط والابلّة والاهواز وفارس وعُمان واليمامة وما يتصل بذلك وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة واذربيجان وارمينية والرقة والشام والثغور ومصر والمغرب واصفهان وكور خراسان فالحمد لله الذي ذخرها لي واغفل عنها كلّ مَن تقدّمني والله لابنينّها ثم اسكنها ايام حياتي ويسكنها ولدي من بعدي ثم لتكوننّ اعمر مدينة في الدنيا ثم لابنينّ بعدها اربع مدن لا تخرب واحدة منهنّ ابداً فبناها وبنى

الرافقة ولم يستتمها وبنى ملطية والمصيصة والمنصورة ، فوجّه في حشر الصنّاع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة وأمر باختيار قوم من اهل الفضل والعدالة والعفة والامانة والمعرفة بالهندسة وكان فيمن احضر الحجاج بن ارطاة وابو حنيفة فكان اول ما ابتدىء ببنيانها في سنة خمس واربعين ومائة ثم قسّم الارض اربعة اقسام وقلّد القيام بكل ربع رجلاً من قواده ورجلاً من مواليه ورجلاً من المهندسين ونظر عند بنائها متى اخذ الطالع فكان المشتري في القوس فدلت النجوم على طول ثباتها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا إليها قال المخبر : ثم قلنا يا امير المؤمنين وخلّة اخرى فيها تدل النجوم على انه لا يموت فيها خليفة ؛ فتبسّم وقال : الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولذلك قال بعض مداح المنصور :

إنّ خير القصور قصر السّلام
إذ به حلّ سائس الاسلام
منزلٌ لا يزال من حلّ فيه
آمناً من حوادث الايام

ولهذا قالوا : نزل بغداد سبعة خلفاء : المنصور والمهدي وموسى الهادي وهارون الرشيد ومحمد الامين وعبدالله المأمون والمعتصم فلم يمت بها واحدٌ منهم الا محمد الامين فإنه قتل خارج باب الانبار عند بستان طاهر ؛ وانتقل المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومائتين الى سر من راى فهذا مصداق ما دلّت عليه النجوم . وانما سمّيت مدينة السلام لان دجلة كان يقال لها وادي السّلام فقيل لبغداد مدينة السّلام ؛ وقيل لانّهم ارادوا مدينة الله واسمها الاول عند الناس الزوراء لانعطافها بانعطاف دجلة . وتسمى القوس زوراء لانعطافها ، وكان بعضهم يسميها الصّيادة لانّها تصيد قلوب الرجال ، وقال رجل من اهل البصرة : مررت ببغداد في السّحر فاعجبني كثرة الاذان فيها فهتف بي هاتف : ما الذي يعجبك منها لقد فجر فيها انبارجة سبعون الفاً . وراى ابو بكر الهذلي سفيان بن عيينه ببغداد فقال : باي ذنوبك دخلتها ؟ وقيل لرجل : كيف رايت بغداد ؟ فقال : الارض كلّها بادية وبغداد حاضرتها . وقال آخر : لو ان الدنيا خربت وخرج اهل بغداد لعمّروها ، وكان فراغ المنصور من بنائها ونقل الخزائن إليها والدواوين وبيوت الاموال سنة ست واربعين ومائة وكان استتمامه لجميع امر المدينة سنة تسع واربعين .

وقال احمد بن ابي يعقوب : بغداد وسط العراق ، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ولا في مغاربها سعة وجلالة وكبراً وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء ، سكنها اهل الامصار والكور وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية وآثرها جميع اهل الآفاق على اوطانهم يجري في حافتيها النهران الاعظمان دجلة والفرات فتأتيها التجارات والميرة براً وبحراً بأيسر السّعي حتى تكامل فيها كلّ متجر من المشرق والمغرب من ارض الاسلام ومن غير ارض الاسلام فإنه يحمل إليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة وسائر البلدان القاصية والدانية حتى يكون بها من التجارات اكثر مما في البلدان التي خرجت التجارات منها إليها، وهي مدينة بني هاشم ودار مملكتهم ومحلّ سلطانهم لم يستبدّ بها احد قبلهم ولم يسكنها سواهم وهي وسط الدنيا لانها من الاقليم الرابع وهو الاقليم الأوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الأزمان والفصول فيكون الحرّ شديداً في ايام القيظ ، والبرد شديدا في ايام الشتاء ويعتدل الفصلان الربيع والخريف . قال وباعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت اخلاق اهلها ونضرت وجوههم وانفتقت اذهانهم حتى فضّلوا الناس في العلم والفهم والنظر والتمييز والتجارات والحذق بكل مناظرة وإحكام كل مهنة واتقان كل صناعة ، فليس عالم اعلم من عالمهم ولا اروى من رواتهم ولا اجدل من متكلمهم ولا اعرب من نحويّهم ولا افصح من قارئهم ولا امهر من طبيبهم ولا احذق من مغنيهم ولا الطف من صانعهم ولا اكتب من كاتبهم ولا ابين من منطيقهم ولا اعبد من عابدهم ولا اورع من

زاهدهم ولا افقه من حاكمهم ولا اخطب من خطيبهم ولا اشعرّ من شاعرهم ولا افتك من ماجنهم . وكانت بغداد في ايام الاكاسرة قرية من قرى طسوج بادوريا ومدينة الاكاسرة إذ ذاك [المدائن] من مدن العراق وهي من بغداد على سبعة فراسخ وبها ايوان كسرى انوشروان ، ولم تكن بغداد إلاّ ديرا على مصبّ النهراة ولم يكن ببغداد لملك اثر قديم ولا حديث . اما ملك العرب فبدأ اولاً بالحجاز ثم استقرّ بدمشق من ايام معاوية رضي الله عنه لا يعرف بنو امية غيرها ، فلما جاء ابو العباس السّفاح عرف فضل العراق وتوسطها في الدنيا وهو عبدالله بن محمد بن علي بن [عبدالله] العباس فنزل الكوفة اول مدة ثم انتقل الى الانبار فبنى بأعلى شاطىء الفرات الهاشمية ، وتوفي قبل ان تستتم المدينة ثم كان من بنيان ابي جعفر لبغداد ما كان . ووضع الاساس وضرب اللبن العظام وحفرت الآبار وعملت القناة التي من نهر كرخايا وهو الآخذ من الفرات واجريت الى داخل المدينة لشرب وضرب اللبن ، وجعل للمدينة اربعة ابواب : باب الكوفة ، وباب البصرة وباب خراسان وباب الشام ؛ بين كل باب منها الى الآخر خمسة آلاف ذراع بالذراع السوداء ؛ وعلى كلّ باب منها بابا حديد عظيمان جليلان لا يغلق الواحد منهما ولا يفتحه الاّ جماعة رجال يدخله الفارس بالعلم والرمح الطويل من غير ان يثنيه ولا يميله ، وجعل عرض اساس السّور تسعين ذراعاً ثم ينخرط حتى يصير في اعلاه خمس وعشرون ذراعاً وارتفاعه ستون ذراعاً مع الشرفات ، وحول السّور فصيل عظيم بين حائط السور وحائط الفصيل مائة ذراع وبالفصيل ابرجة عظام وعليه الشرفات المدوّرة ، وحدّ لهم ان يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعاً وان يبنوا في جميع الارباض والدروب من الاسواق والمساجد والحمّامات ما يكتفي به اهل كلّ ناحية ومحلّة ، وامرهم ان يجعلوا قطائع القواد والجند ذرعاً معلوماً وللتجار ذرعاً معلوماً يبنونه وينزلونه ولسوقة الناس واهل البلدان ؛ وآخر ما بنى القنطرة الجديدة وبها اسواق كثيرة فيها سائر التجارات مادة متصلة ثم ربض وضاح مولى امير المؤمنين المعروف بفصر وضاح حاجب خزانة السلاح وهناك اسواق واكثر من كان فيه في هذا الوقت القريب ، الوراقون اصحاب الكتب فإن به اكثر من مائة حانوت للورّاقين ، والكرخ السوق العظمى مادة من قصر وضاح الى سوق الثلاثاء طولاً مقدار فرسخين ، وكل تجارة لها شوارع معلومة في تلك الشوارع حوانيت ، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجاور تجارة تجارة ، واحصيت الدروب والسكك فكانت ستة آلاف درب وسكة ، واحصيت المساجد فكانت ثلاثين الف مسجد سوى ما زاد بعد ذلك واحصيت الحمامات عشرين الف حمّام سوى ما زاد بعد ذلك ، وحفرت القناة التي تأخذ من الفرات في عقود وثيقة من اسفلها محكمة بالصاروج والآجر من اعلاها ، فتدخل المدينة وتنفذ في اكثر شوارعها وشوارع الارباض صيفا وشتاء قد هندست هندسةً لا ينقطع الماء منها في وقت ، وقناة اخرى من دجلة على هذا المثال سماها دجيلاً ؛ وجرّ لاهل الكرخ وما اتصل به نهراً يسمى نهر الدّجاج لانّ اصحاب الدّجاج كانوا يقعدون عنده ؛ ونهر عيسى الاعظم الذي يأخذ من معظم الفرات تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقة يحمل فيها الدقيق والتجارات من الشام ومصر وتصير الى فرضة عليها الاسواق وحوانيت التجار لا تنقطع صيفاً وشتاءً ولهم الآبار التي يدخلها الماء من هذه القنوات وانما احتيج الى هذه القنوات لكبر البلد وسعته ، وإلاّ فهم بين دجلة والفرات من جميع النواحي تتدفق عليهم المياه حتى غرسوا النخل الذي حمل من البصرة وغيرها فصار ببغداد اكثر منه بالبصرة والكوفة والسّواد ؛ وغرسوا الاشجار فاثمرت ثمرات عجيبة وكثرت البساتين والجنات في ارض بغداد من كلّ ناحية لطيب المياه وطيب الارض وعمل فيها كلّ ما يعمل في بلد من البلدان لان حذاق اهل الصناعات انتقلوا إليها من كلّ بلد وافوها من كلّ افق ونزعوا إليها من الاداني والاقاصي فهذا الجانب الغربي من بغداد وهو جانب الكرخ وجانب الارباض ؛ وفي كل طرف منه

مقبرة وقرى متصلة وعمـــارات مادة ، والجانب الشرقي من بغداد نزله المهدي بن المنصور وهو ولي عهد ابيه وابتدا بناءه سنة ثلاث واربعـــين ومائة واختط المهدي قصوره بالرصافـــة الى جانب المسجد الجامع الذي بالرصافة وحفر نهراً يأخذ من النهروان سمّاه نهر المهدي يجـري في هذا الجانب واقطع المهدي اخوته وقواده بعد من اقطع في الجانب الغربي وهو جانب مدينتـــه ، وقسمت القطائع في هذا الجانب وتنافس النـاس في النزول مع المهدي لمحبتهم له ولتوسعته عليهم ولانّه كان اوسع الجانبين ارضـــا . وفي الجانب الشرقي الذي نزله المهدي اربعة آلاف درب وسكة وخمسة عشر الف مسجد سوى ما زاد النـــاس وخمسة آلاف حمّام سوى ما زاد الناس بعـــد ذلك . وانتقل المعتصم الى سرّ من راى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين واتصل مقامه بها مدة حياته وايام الواثق والمتوكل ولم تخرب بغداد ولا نقصت اسواقها لانهم لم يجدوا منها عوضا ولانّه اتصلت العمارة والمنازل بين بغداد وسرّ من راى .

قال احمد بن ابي الطاهر : اخذ الطول من الجانب الشرقي من بغداد الامير الناصر لدين اللّه عند دخوله مدينـــة السلام فوجد مائتي حبـل وخمسين حبلاً ، وعرضه مائتي حبل وخمســـة احبل تكون ستة وخمسين الف جريب ومائتين وخمسين جريباً ووجد طول الجانب الغربي مائتين وخمسين حبلاً وعرضه خمسين حبلاً يكون ذلك سبعة عشر الف جريب وخمسمائة جريب فجميع ذلك ثلاثة وسبعون الف جريب وسبعمائة جريب وسبعون جريباً .

وحكى الهيثم بن عدي ان المنصور لما جلس في قصره بباب الذهب اذن لرسل ملك الروم فدخلوا عليه فقال لرسول ملك الروم : هل ترى عيباً ؟ قال : نعم عيوباً ثلاثـــة ، قال : ما هي ؟ قال : النفس خضراء ولا خضرة عندك ، والحياة في الماء ولا ماء عندك ، وعدوّك مخالطك ومطلّع على سرّك قال : اما الماء فحسبي منه ما بلغ الشفة ، واما الخضـــرة فللنجـد خلقت لا للعب واما السّر فلا ابالي علم بسري رعيتي ام ولـــدي وخاصتي ، فامسك الرومي عن الكلام . ثم تعقّب ابو جعفـر الراي فراى ان القول ما قال فاتخذ العباسية واجرى القناة من دجلة واخرق السوق عن المدينة ، فلما فعل ذلك وجلس في قصره بالخلد نظر الى التجار من البزازين والصيرفي والقصاب وطبقات السوقة فتمثل بهذين البيتين :

كمـــا قال الحمـــار لسهـم رامٍ
لقـــد جمّعتَ من شتى لأمْـرِ
جمّعتَ حـديدةً وجمعتَ نصلاً
ومن عقب البعير وريش نِسْـــرِ

ثم قال : يا ربيع ان هذه العامة تجمعهـا كلمة وتراسها السفلة ولا ارينك معرضا عنها فإن اصلاحها يسير واصلاحها بعـــد إفسادها عسير فاجمعها بالرّهبة واملأ صدورها بالهيبـــة ومـا استطعت من رفق بها واحسان إليها فافعل .

وفي هذا الذي ذكرناه من اولية بغداد كفايـة وهي اعظم ممّا قيل واشهر حالاً ممّا ذكر فلنقتصر على هذا القدر ثم إن دولة بني العباس استمرت بها من مبايعة السفاح بالكوفة يوم الخميس لثلاث عشرة خلون من ربيع الآخر سـنة اثنتين وثلاثين ومائة الى ان ملكها الطّطر (التتر) حين دخلوا العراق واستولوا على تلك الآفاق ، وقتلوا الخليفة المستعصم .

(*) كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، ١٠٩ ـ ١١٢ تحـ : احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٥ .

- ١١ -

ابو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماه ت/٧٣٢

تقويم البلدان(١)

قال في اللباب : وانما سمّيت بغداذ بهـذا الاسم لأنّ كسرى اهدى إليه خصيٌ من المشـرق

(١) تقويم البلدان ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ، تحقيق رينود ، والبارون ديسلان ، باريس ١٨٤٠ .

فاقطعه بغداذ ، وكان لهم صنم يعبدونه بالمشرق يقال له البغ فقال ذلك الخصيّ بغ داذ يقول اعطاني الصنم ، والفقهاء يكرهون هذا الاسم من اجل هذا وسمّاها المنصور مدينة السّلام لان دجلة كان يقال له وادي السلام . قال وكان ابن المبارك يقول ، لا يقال بغداذ يعني بالذال المعجمة ، فإن بغ شيطان وداذ عطيّة وانها شرك ، وانما يقال بغداد يعني بالدالين المهملتين وبغدان ايضاً وقال بعضهم إن بغ بالعجمية البستان وداذ اسم رجل يعني بستان داذ ، والحريم ببغداذ هو حريم دار الخلافة قال ياقوت الحموي في المشترك ، بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين ، ثم مثناة من تحتها ساكنة وفي آخرها ميم ، قال ومقدار الحريم قريب من ثلث بغداذ ، وعلى الحريم سور ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه الى دجلة من الجانب الشرقي كهيئة الهلال او كنصف دائرة وله ابواب اولها باب الغرّبة وهو على دجلة ، ثم يليه باب سوق التمر وهو باب شاهق واغلق في ايام الخليفة الامام الناصر واستمرّ غلقه ، ثم باب البدرية ثم باب النوبي وفيه العتبة التي كان يقبّلها الملوك والرّسل ثم باب العامّة ويقال له ايضاً باب عموريّة ثم يمتدّ السّور نحو ميل لا باب فيه الاّ باب بستان تحت المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا ثم باب المراتب وبينه وبين دجلة نحو رميتي سهم قال وجميع ما يشتمل عليه هذا السّور يقال له حريم دار الخلافة وفيه محالّ واسواق ودور كثيرة للرّعية وهو كاكبر مدينة تكون ، قال وبين دور الرعية التي داخل هذا السور وبين دجلة سور آخر ، وداخل السور الثاني دور الخلافة لا يداخلها شيء من دور العامة . قال في اللباب والسندية بكسر السين المهملة وسكون النون وكسر الدال المهملة قال وهي قرية بنواحي بغداد ينسب اليها السندواني .

وبغداذ على شطّي دجلة ، فالجانب الغربي يسمّى الكرخ وبه كان سكنى ابي جعفر المنصور ولما بنى بغداذ سمّيت الزوراء لانه جعل ابواب المدينة الداخلة مزوّرة عن الابواب الخارجة واما الجانب الشرقي فيسمى عسكر المهدي لان المهدي ابن المنصور اوّل من سكنه بعسكره ، ويسمى ايضاً الرّصافة لان الرشيد بنى فيه قصراً وسمّاه الرصافة ويسمى جانب الطاق نسبة الى راس الطاق موضع السّوق الاعظم قال في المشترك ونهر معلّى منسوب الى المعلّى بن طريف مولى المنصور قال وهو اعظم محلّة ببغداذ من الجانب الشرقي وفيها الحريم ودور الخلافة[2] .

قال في اللباب وكلواذا قرية مشهورة من قرى بغداد قال في العزيزي ومدينة كلواذا بينها وبين بغداد فرسخان ومن كلواذا الى النهروان اربعة فراسخ .

---

(2) تقويم البلدان ٢٠٢ .

- ١٢ -

البغدادي : صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي ت/٧٣٩هـ

مراصد الاطلاع[1]

(بغداد) كانت امّ الدنيا وسيّدة البلاد ، فيها سبع لغات : بغداد ، وبغداذ وبغذاد ، ومغداد ، ومغداذ ، ومغدان ، وبغدان ، وهي في اللغات كلّها تذكّر وتؤنث ، وكانت في زمن الفرس قرية تقوم بها سوق للفرس . فاغار عليها المثنى في ايام سوقهم ، فانتسفها . قال احمد بن حنبل : بغدادّ من الصّراط الى باب التبن ثم انتقلت الى الجانب الشرقي من الشماسية الى كلواذى ، وكانت عظيمة فخرّبت باختلاف العساكر إليها واستيلائهم على دور الناس وامتعتهم ، فلم يبق من الجانب الغربي الاّ محالّ متفرقة ، اعمرها كان الكرخ وخربّ من الجانب الشرقي من الشماسية الى المخرّم ، وبني السّور على ما بقي منه على جانب دجلة حتى جاء التتر اليها فخرّب اكثرها ، وقتلوا اهلها كلّهم ، فلم يبق منهم غير آحاد كانوا انموذجا حسناً وجاءها اهلُ البلاد فسكنوها وبادّ اهلها ، وهي الآن غير التي كانت ، واهلها غيرُ من عهدناهم والحكم للّه تعالى .

---

(1) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ١٩٥٤ ، ٢٠٩/١ .

- ١٣ -

الباكوي : عبدالرشيد صالح بن نوري ، كان حيا ١٤٠٢/٨٠٦ – ١٤٠٤

تلخيص الاثار وعجائب الملك القهار

بغداد سيّدة البلاد ومدينة السلام هواها الطف من كل هواء ، وماؤها اعذب من كلّ ماء ، وتربتها اطيب من كلّ تربة ونسيمها ارق من كل نسيم ، بناها المنصور ابو جعفر عبدالله بن محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس على طالع القوس والشمس في درجة الطالع ذكر انه بناها بالجانب الغربي ووضع اللبنة الاولى بيده وجعل داره وجامعها في وسطها وبنى فيها قبة فوق ايوان كان علوها ثمانين ذراعا والقبة خضراء على راسها تمثال فارس بيده رمح وقد سقط راس القبة سنة تسع وعشرين وثلثمائة والآن لم يبق منها اثر وبغداد عبارة عن المدينة الشرقية كان اصلها قصر جعفر بن يحيى البرمكي وهي المدينة العظمى كثيرة الاهل والخيرات والثمرات يجبى إليها لطائف الدنيا وظرائف العالم لها سور ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه اليها كشبه الهلال بها دار الشجرة من ابنية المقتدر بالله دار فسيحة ذات اشجار وبساتين مونقة وبها المدرسة التي انشاها المستنصر بالله لم يبن مثلها قبلها في حسن عمارتها ، وعلى باب المدرسة ايوان ركب في صدره صندوق الساعات على وضع عجيب . وفي سنة ستٍ وخمسين وستماية سار إليها هولاكو بجنوده واخذها . وقيل الخليفة المستعصم بالله نسب اليها القاضي يحيى بن اكثم كان فاضلاً غزير[٢] العلم ذكي الطبع وابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل كان اصله من مرو جيء به الى بغداد فنشأ بها توفي سنة احدى واربعين ومايتين عن تسع وسبعين سنة وينسب اليها ابو الحسن السري ابن المفلس السقطي خال ابي القاسم الجنيد ، ابن محمد واستاذه وكان اصل الجنيد من نهاوند ومولده بغداد ، ومنها الاستاد علي بن هلال الخطاط يعرف بابن البوّاب كان عديم النظير في صنعته لم يوجد مثله .

مخطوطة باريس الفريدة الرقمة Arab 585-945
نقلت من نسخة كتبت سنة ٨١٦ نقلها علي المصري نزيل الازقية .

(٢) هكذا في الاصل ونقل « وينسب » . في الاصل غزيز .

WWW.ATTAWEEL.COM